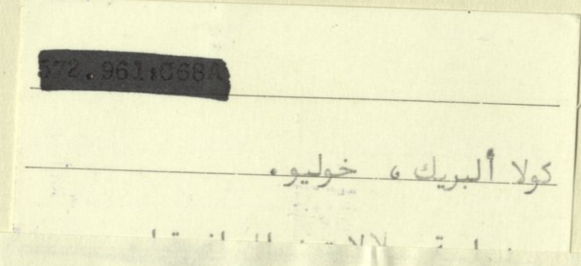
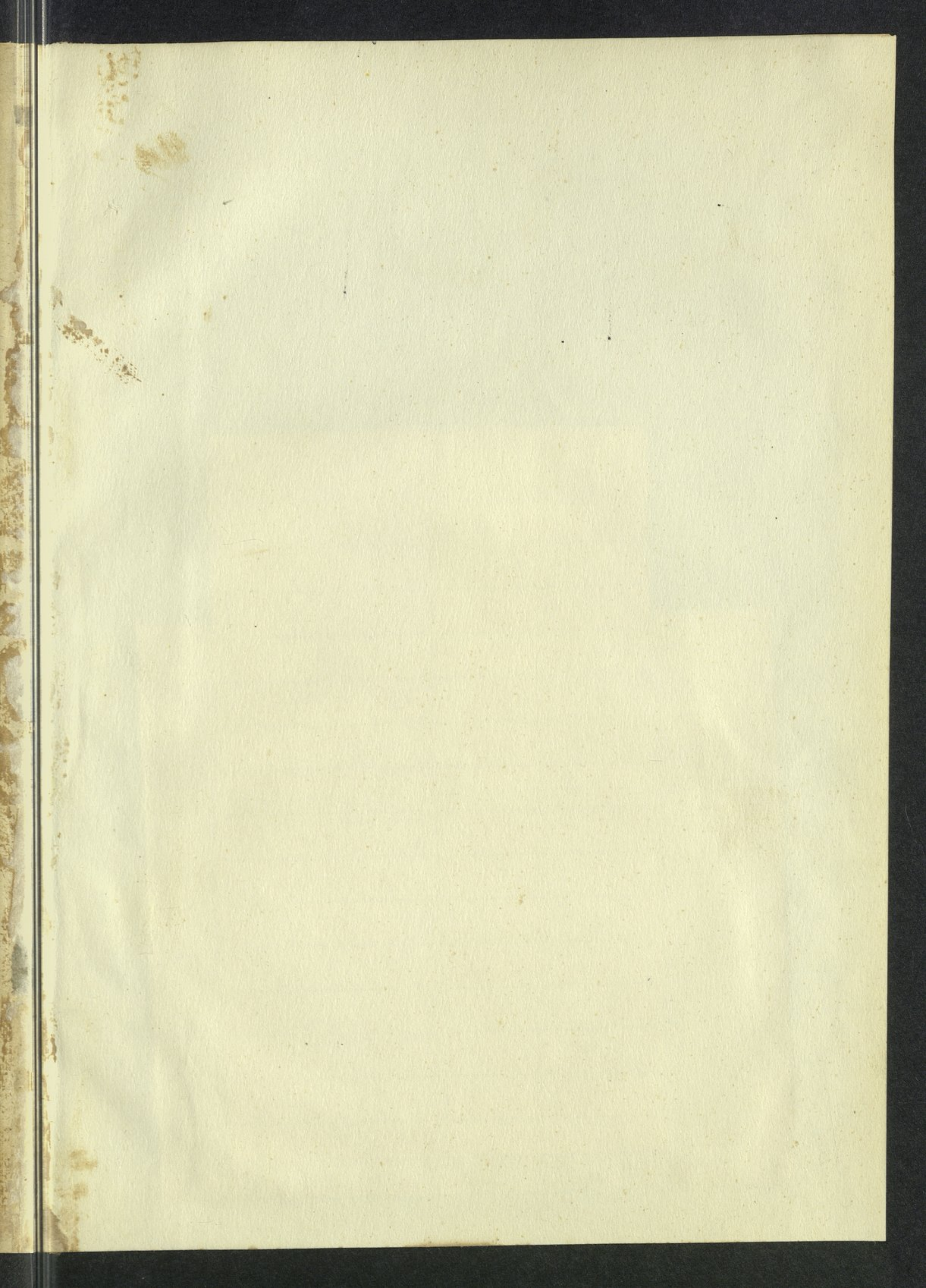
كولا البريك

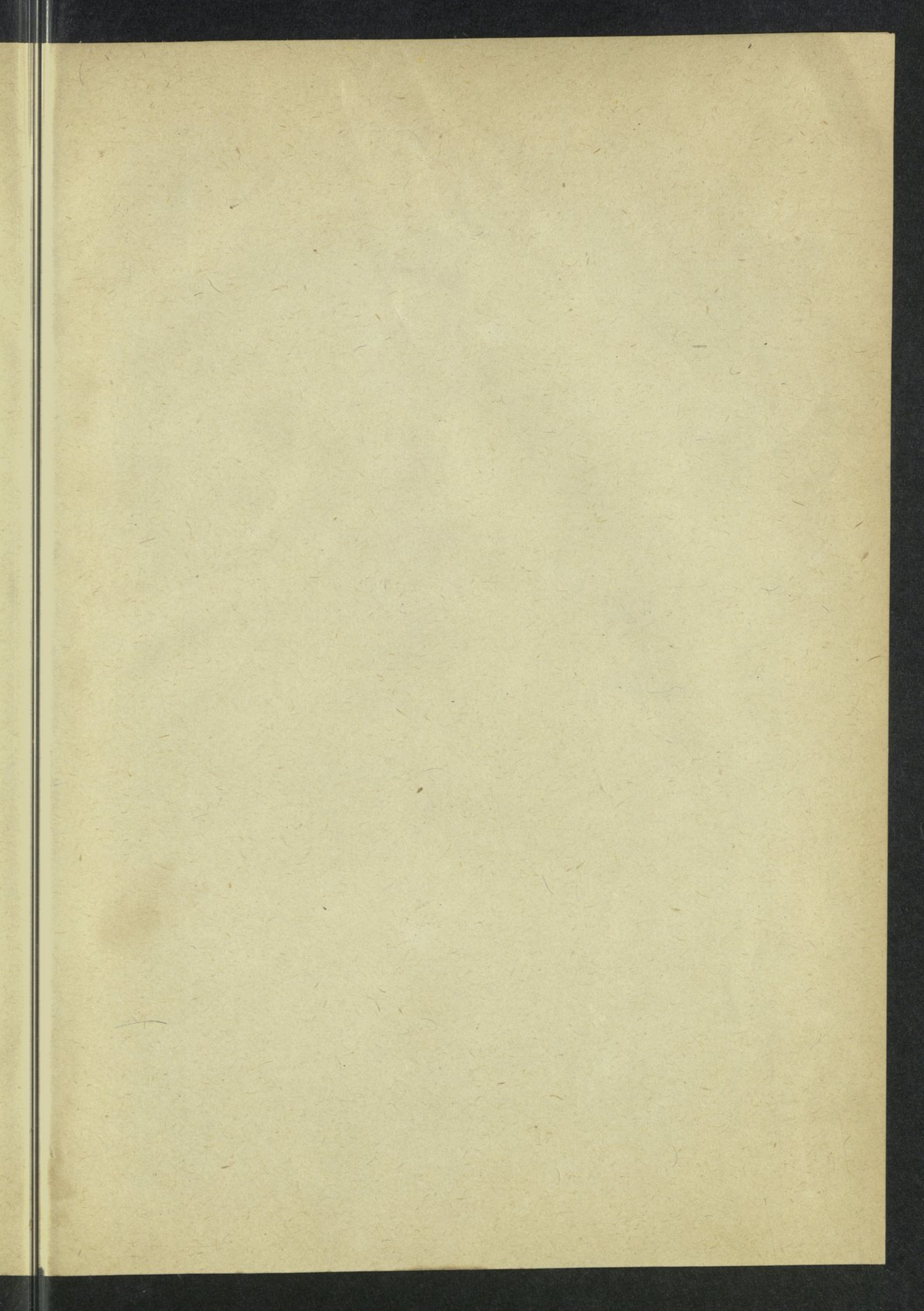
# سلالات شمال افريقيا





# دراسة سلالات شمال افريقيا



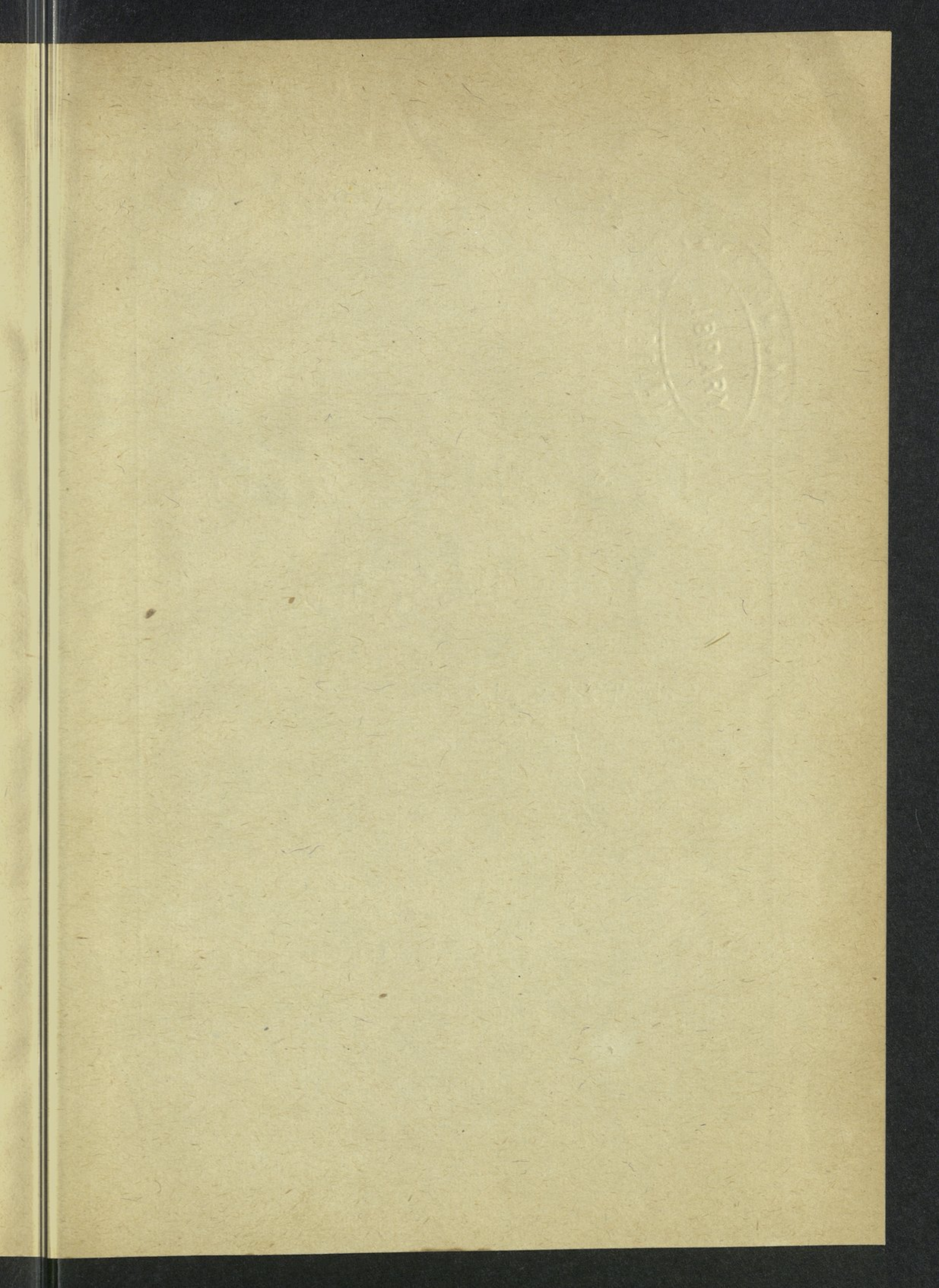
معهد مولاي الحسن

# دراسة سلالات شمال افريقيا

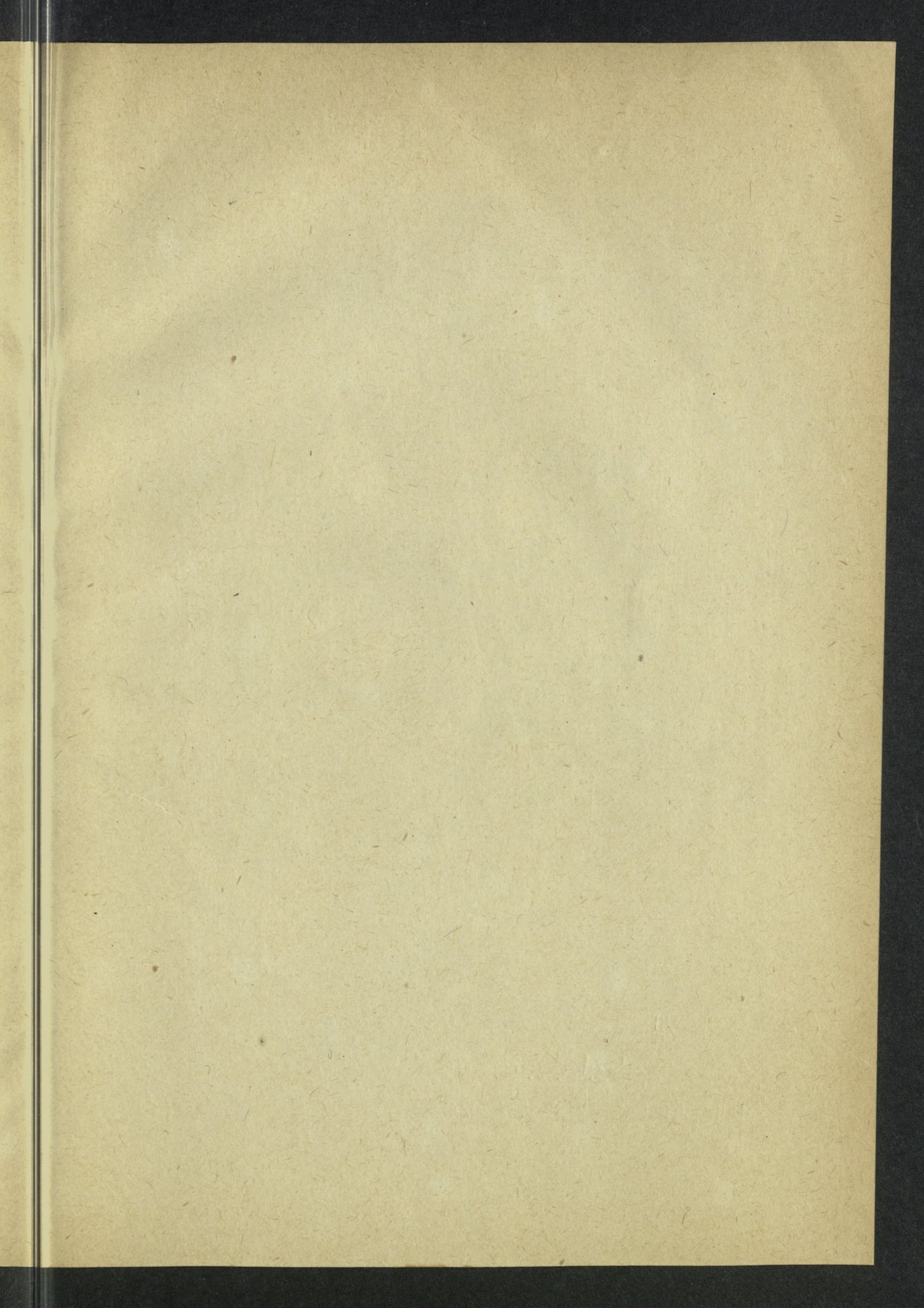
بقلم خوليو كولا البريك استاذ
في جامعة مدريد ورئيس قسم
معهد «برناردينو دي شاهكون»
لدراسة الانسان والسلالات في
المجلس الاعلى للابحاث العلمية

محاضرة القيت يوم 31 مارس 1947 في قاعة المحاضرات
بنيابة التربية والثقافة بتطوان

تطوان 1948



ترجم هذه المحاضرة ألى اللغة العربية
الاستاذ نجيب ابوملهم عضو مكتب
الترجمة الاسبانية العربية بنيابة الامور الوطنية



ان دراسة السلالات البشرية التي استوطنت المغرب قبل دخول الاسلام وكل ما يتعلق بتلك الشعوب من عوائد وطرق معيشة لهي مورد غزير حافل بالموضوعات العلمية استرعى دائما وابداً انتباه البحاثة الكبار في سائر العصور والازمان.

فمن اوجه مختلفة ننظر بجلاء العروة السلالية التي تربط شعوب المغرب بشعوب شبه الجزيرة الايبيرية وهذه حجة اخرى تضاف الى غيرها من الحجج التي جاءت مؤيدة للحقيقة الناطقة بهذه المنطقة المترامية الاطراف التى ندعوها «هيسبيريا» اقتداء بالتسمية الموفقة التي خلعها عليها عالمنا الكبير ضون ادواردو هرنانديث باتشيكو.

وتوجد فعلا في منتوجاتها المادية في المسكن في الزينات الجسدية وفي صناعة الادوات الخزفية الخ وتلاحظ كذلك في المبتدعات الفكرية والروحية منها: في العبادات و في الخرافات والطقوس السحرية نتيجة شحذ مخيلاتهم في عالم ما فوق الطبيعة ولكل من هذا طابع مميز يجعلنا نلمس تلك الثقافة المقتصرة الخاصة التي بدورها تتصل اتصالا وثيقا بغيرها من الثقافات الهسبيرية فلذا استحال تحليل مجموعة الاوجه المتفرعة المتنوعة تحليلا مفصلا فاضطرارنا الاقتصار في الوقت الضيق للمحاضرة على طائفة منها سنوجه عنايتنا الناحية الروحية التي ما زالت حية في خلال معتقداتها الوجدانية حيث انها ترتسم على عدة اعمال ذات قيمة سلالية كبرى.

وبهذه الكيفية نقدم صورة عن اساطيرهم وسحرهم وخرافاتهم التي اجماليا لها مميزات شخصية فذة تكفي وحدها لمعرفة الثقافة التي تنتمي اليها بسهولة.

## العوامل البيئية

تدخل في نطاق دراسة السلالة البشرية العلاقات الوثيقة القائمة بين الانسان والمحيط الطبيعي الذي يدور به. واما تاثيرات المحيط فيصح ان تكون مباشرة او غير مباشرة ومن عملها الخطير تتولد نتائج فادحة بالنسبة للسكان الادميين لحد معه في الوقت الحاضر ان الجغرافية على النمط المعروف كدراسة الانسان من حيث هو جسديا واخلاقيا بالنسبة للمكان تتطلب المكان كمحور مرشد لدراسة الانسان الحيوية والاخلاقية من حيث هو. فهذه التاثيرات تحدد الاوجه الخاصة بمنتوجاتها العادية كما وانها تطبع ميزات خاصة في نفسية الانسان. وهذا يلاحظ في توزع الكتل البشرية على سطح الارض توزعا يحصل وفقا لامكانيتي الوسط المناخية والاقتصادية فالصحارى والبلدان ذات الاراضي البيضاء القاحلة يستوطنها اقل عدد ممكن من البشر في حين ان الاراضي الخصباء والمواني من بحرية ونهرية والاراضي ذات المناخ المعتدل والتي قرها متوسط الاعتدال تطلع علينا بنسبة قصوى من حيث عدد السكان.

ومن العوامل الجغرافية المختلفة التي يمكن اعتبارها لدراسة السلالة البشرية لاحدى البلدان وصف طبيعة الجبال نظرا للدور الهام الذي تلعبه. ولما كانت تحدد كثيرا من ميزات الانسان من حيث هو جسديا واخلاقيا بالنسبة للمكان فتطبع طابعها القوي على طرق حياته العادية المحضة منها نجم ان المسكن تاثر بها بنوع خاص، فمن هذا في المناطق الجبلية المغربية عدم وجود البناءات الشاهقة او الضخمة الحجم التي انما توجد في السهول الفسيحة، ولا نعثر كذلك

في انفراجات الاودية على كتل كبيرة من السكان ومثل هذه الاعتبارات فانها تقتصر على الجهة الشمالية من المغرب(١)

وتستند عوامل رئيسية اخرى الى دراسة الجغرافية المائية . فتاريخ سائر العصور يلمع بصفة قانون الرامي الى ان المدنيات الكبرى لاقت مهدها ومركزها الوسيط السطحي حول المجاري المائية الكبرى سواء كانت المحيطات والبحار او الانهر الكبرى .

ووفقا للدراسة السلالية فكل تاثير العوامل المشتركة المتناوبة بين الانسان والوسط الذي يعيش فيه ينطبع بصورة خاصة على طريقة الحياة واللباس الخ . وصفوة القول فكل شيء يظهر طابع الوسط الذي يعيش فيه الانسان .

فالثقافة في حد ذاتها يمكن ان تعتبر ايضا كنتيجة لعمل الانسان لينال من الطبيعة ما لم تقدمه له عفوا فلهذا السبب تزدهر عادة في اماكن خصبة للغاية تنخفض الى ادنى حد المجهود البشري ويقول «كربس»(٢) ان الانسان يضع في وجه الطبيعة ارادة وعملا مغتنما الامتيازات التي تقدمها له محاولا تقليل العوائق

---

(١) راجع خوليو كولا البريك (Julio Cola Alberich) في «الدراسة السلالية المغرب» منشورات معهد مدريد سنة ١٩٤٦ وابحاث للمولف ذاته في «شذوذ في المسكن الاهلي المغربي» مجلة العلوم لجمعية تقدم العلوم العدد 11 رقم 2 مدريد (T. XI núm. 2) مدريد سنة 1946 . مدريد «الدراسة السلالية للمسكن المغربي في مجلة افريقية لمعهد الدروس الافريقية . عدد ابريل . مدريد ١٩٤٧ و «المسكن البدوي المغربي موريطانيا عدد ٢١١ . طنجة خونيه ١٩٤٥

(٢) Krebs

وهذا ما يفعله حتى الشعوب الهمجية اذ يمكن ان يقال بوجود ثقافة مهما كانت اولية منذ الآونة التي عرفت فيها الكتلة البشرية ان تطبق حياتها على الطبيعة

وتظهر الطبيعة لدى هذه البحوث كشيء لا يتحور بالنسبة الى الحياة البشرية ولقد بسط الانسان سلطانه على الارض وانتفع من الامتيازات دون ما حدود سوى التي تفرضها عليه بنيته. وليس الميزة الجسدية هي كل شيء في تكوين الافكار الا انها عامل جبار يساعد على تأصل انواع ثقافية معينة. وفي المقتصرة على المغرب فلنقل ان لعوامل المحيط اهمية بعيدة الاثر.

وللعوامل المناخية رتبة فوق الممتازة في تنسيق مدى درجات التاثير. فالعصر الجليدي كان الحافز للبشرية التي كانت لذلك الحين مكتظة في منطقة ضيقة ان تنمو وتنتشر انتشارا فائقا وكانت افضلية الاختيار تقع دائما وابدا على الاراضي المنعرجة والجبلية سواء كانت ناشفة او مغطاة بالادغال الغير كثيفة ذات اقعر المعرض للرطوبة وسهل غمرها بالماء من الاودية في حال ان القيظ المفرط يرسم عدم اهلية البلاد للسكنى كما هو حاصل فى الصحاري الافريقية.

والحياة البدوية التي كانت منتشرة فيما مضى في المغرب في كثير من المناسبات يرجع مصدرها للتاثرات البيئية وكانت البداوة الى عهد قريب قاعدة عامة لحياة كثير من جماعات الشعوب الافريقية ولم تقتصر على الرعيان والصيادين فحسب بل تعتدتهما ايضا الى المزارعين. والعامل المهم الذي يحددها هو فعل العوامل البيئية وبالاخص نفاذ موارد التربة او جفاف موارد الثروة السابقة الوجود (اضمحلال صيد الاسماك والقنص الخ.)

وتوجد حالات يكون السبب فيها مخالفا كما يحصل الكثير من الشعوب التي تهجر اماكن اقامتها لخوفها من الارواح الشريرة التي تسكن

مقاطعتها ولا تعدم كذلك الاسباب الحربية التي تدفعهم الى الهجرة من جراء ضغط العشائر المحاربة المجاورة المستقوية. فلذا سبب الحاميون الشرقيون وشعوب النيل في زحفهم من الشمال الشرقي نزوحات السود نحو الجنوب والجنوب الشرقي. وعند وسترمان(١) يرجع للنزوحات الفضل في تكوين دول الحمى(٢) في ناحية البحريات الكبرى. وفيما يرجع الى المغرب فالحروب سببت تنقلات في السكان واسعة خلال العهود المتقدمة للاسلام. فتكون اول اشارة في التاريخ المكتوب عن الريف هي كتابة نقشت على قبر العائلة المالكة الثامنة عشر(٣) تتعلق بغزو من مصر آنذاك قامت به جماعة ليبية عرفت باسم مشاوشة(٤) الذين غزوا الطاحينو(٥) وهم الليبيون الوحيدون الذين اعتادوا مجاورة المصريين(٦) فجندوهم تحت امرتهم لغزو مصر.

وكان انتشار العبيد في افريقيا بعد البرجمانيين وقبل الحاميين(٧) وتجنبوا في بادئ امرهم الادغال ذات البيئة الغير مناسبة للحياة غير انهم فيما بعد وجدوا انفسهم مضطرين الى ولوجها تحت ضغط شعوب اخرى. ويصح فقط في مثل هذه

---

(١) الدكتور ديثريش وسترمان في «نزوحات الشعوب في افريقيا» بحث ونقد (عدد ٥ = ٦ — سنة ١٤) مدريد ١٩٤٣. Dr. Dietrich Westermann.

(٢) Himas

(٣) اوريك باتس. Oric Bates «The Eastern Libyans» p. 211 Londres 1914.

(٤) Mashausha

(٥) Tahennu

(٦) غسطون ماسبيرو Gaston Maspero «the Struggle of the Nations» Londres 1896

(٧) Camitas

الحالات وغير ذلك من الدواعي القاهرة ان يقع الاختيار على اماكن قابلة الصلاحية لنمو الثقافات الزاهرة.

واما فيما يعود الى المغرب فالتاثيرات البيئية تبلغ حدا عمليا يقف في الاستبداد فطبيعة البلاد الجبلية القاسية والوسط الجيلوجى والنباتى هما عاملان جباران يحددان كثيرا من ظواهر ساكنيها.

ولدى استعراض خريطة منطقتنا يلاحظ حالا وعلى غرار ميزات ذات سياده النمو الهائل الذي حصلت عليه الشواطئ التى يبلغ طولها الكلي ٥٣٠ كيلومترا. فهذه الحالة وكون البلاد واقعة في موقع جغرافي رئيسى في الطرف الثانى من العالم المعروف قديما شجعا دائما وصول جماهير الشعوب الغريبة التى على ما يظهر راحت تترك في المغرب آثار الثقافتها تراكمت فوق التى للشعوب الاولية وعلى هذه الكيفية يصبح العامل الجغرافي دافعا قويا لتاثيرات سلالية واسعة.

## وضعية المغرب السلالية

تبدي القارة الافريقية في امتداد اصقاعها المترامية عدا النواحي الثقافية بحد ذاتها هذا الفرق الظاهر ضمن الدائرة الجيلوجية بسلطانيها الاطلي الريفي والافريقي ويلاحظ كذلك من الوجهة السلالية فاصل جلي بين المغرب وبقية اقطار القار. ففي الشمال الافريقي ثقافات حامية شديدة القربى مع ثقافات غيرها مما ترقى من مقاطعة هسبيريا وهي تنطق بمصدر واحد في كل مظاهرها ولو كانت التطورات التالية خلال آلاف السنين قد اكسبتها صبغات خاصة فصلت هسبيريا الافريقيا سلاليا عن شبه الجزيرة الايبرية.

واما في بقية انحاء القارة فعند فروبنيوس(١) تتوزع الى ثقافيتين افريقيتين

---

(١) Frobenius

ديرتين : الايبيترية والاطلنتية منبعهما البحر الاحمر وخليج الغينائية.

وشواهد الثقافة الايبيترية حقول الاثارات على ساحل الموزنبيك(١) وسواحل البحر الاحمر كوهيت(٢) ذكرها جمهرة المولفين بالاوفير(٣) وتمتد هذه الثقافة الى الغرب من مصب الكونغو.

كانت الاطلنتكا(٤) بادى ذي بدء في خليج لاغينايا(٥) وتعرف عنها اكتشافات واسعة جرت في ايفي او اوفي(٦) في بلاد الخروبس(٧) وناتي بشواهد واضحة للتاثيرات الاسيوية الشرقية الى حد حمل معه فروبنيوس(٨) على القول ان في ذلك الجزء من العالم كان منشاؤها.

وللثقافات الحامية(٩) التي تاصلت في الشمال الافريقي ميزات سلالية شديدة الوضوح. وتكون اخر درجة المتطور الناشئى في منابع ما قبل التاريخ وفي النقش الصخري الصحراوي الزاهر ففي حالتيها تدل على صلة واضحة بالميزات المماثلة في شبه الجزيرة الايبرية في حين ان الثقافات الافريقية من حيث هي والثقافات

---

(١) Symbaje

(٢) Koheito

(٣) Ofir

(٤) La Atlántica

(٥) La Guinea

(٦) Ife o Ufa

(٧) Jorubas

(٨) Frobenius

(٩) Camitas

الاسيوية تظهر ميزات كثيرة التباين ومنها تركيب المجتمع . واما الشعوب المنتشرة في رحاب القارة فلها من الميزات التفريق بين طبقات المجتمع حسب الاعمار فعند المساي(١) تسمى درجات المجتمع لايوك(٢) الاولاد والموران(٣) اليافعون والمورنو الكبار(٤) وتبتدئ حياتهم الاجتماعية كالمور (يافعون) بهجر قريتهم وتجمعهم في قرى منفردة ومساكنتهم لفتيات في سن النكاح وهنالك ينصرفون الى الحياة الحربية بيد انه لا اثر للاباحية في هذا الطراز من العيش . انهم يتجنبون كل ما فيه شطط ومنه الشهوانيات التي يراعونها مراعاة خاصة بحيث ان ادنى زلة مع صديقات الرفاق تعد امرا منافيا للاخلاق يستحق الاحتقار وفي الثلاثين تقريبا يتم الانتقال الى المرحلة التالية الوموران (٥) وهي المرحلة التي

تتخذ فيها الحياة نسق الهدوء للعيش المتوسط الدرجة. واما تكريس البلوع الجنسي فيتم في احتفالات الشروع التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالطقوس السحرية الاولية وعند اغلبية هذه الشعوب الافريقية يمسك الكاهن المتنكر كانه فهد بالمتجدد ويهزه ثم يسدد اليه نظراته واما عند الكري(٦) فيتنكر الكاهن كانه فهد ويدهن جسمه ببقع مماثلة لبقع جلد الحيوان الهري الذي من جلده يتخذ ما يستتر به عورته . والفهد عند هذا الشعب حرز الملوك الذين تمت

---

(١) Massai

(٢) Layok

(٣) Elmorán

(٤) Elmoruo

(٥) Elmoruo

(٦) Kirri

تضحيتهم بموجب هذا الطقس العاتـى وروح الادغل . وان كان الحوز اسما ففي هذا الاسم الذي يربطه باخوته ثروة ذات مغزى زهدي يجعله داريا بشعور التضامن الاجتماعى . وفي الثقافة الاطلنتيكية التي امتد تاثيرها الى الثقافة الحامية الافريقية وجود لطريقة سياسية ترى العالم بمرآة دينية صرفة، فالسماء مقسومة الى مناطق في عهد اله فيه صفات عمل خاص . حرب وفلاحة وامطار الخ .

فكل هذه الميزات الانفة الذكر تختلف اختلافا بينا عـن الميزات التى تقتصر على ثقافـة المغرب . فالمجتمع لا يستند الى رتب ودرجـات حسب السن والختانة هـى الاحتفال الوحيد الـذي ينوه ببعض التمييز في حياة المرء وتجرى الختانة في المغرب قبل السابعة وهـى تحوير للختانـة الحقيقية عـنـد الشعوب الطوطميكية(١) ومعناها شروع الفتى في حياة النكاح بواسطة ازالة القلفة العائق الحقيقى او الرمزي للجماع ووجـود الختانة في شمالي افريقيا انما هـو اثر ابعد للتسربات الثقافية المشتركة بين السيطرتين في القارة الافريقية .

## الـوشـم

للوشم الذي يحمله المغاربة اهمية خاصة . وتعدد اشكاله التى تظهر لا تحصى ولا تنحصر وكذلك اماكنه من الجسد فكثيره التنوع . واما الاشكال المعتادة فهى الصليب . الطرق والدوائر . وفي الريف فكثيرا ما يستعملون الخطوط المتوازيـة او المعترضة . وفي بعض الاحيان تمثل صورا انسانية على نمط النقوش المستعملة في شبه الجزيره على الصخور والكهوف ويحصل هـذا بصوره خاصه في قبائل بنى يطفت حيث شوهدت عـدة حـالات . وفي مراكش واسفى على وجـه كثيرات من النساء البربريات ينقش رمـز اسطرطى اي قمرا في قرنـى الثور

(١) Totémicos

وتنقش الوشوم على الوجه والجبين والذقن خصوصا وعلى الصدر والافخاذ والايدي.

ففي بعض الحالات يبلغ الوشم معنى اجتماعيا كما في الريف حيث استعماله عند النساء هو في كثير من الحالات شرط ممهد للزواج وتقوم بنقشه امراة من نفس الرتبة الاجتماعية العائلية المخطوبة. وفقط في حال عدم وجود امراة من العائلة عارفة بمثل هذا النقش يلتجا الى غيرها من خارج العائلة. فهذه المسائل تعتبر كعلامات لتاصل الروح القبائلية الكثيرة الشيوع عند الطوطوميك وتعتبر المراة قليلة الحظ فيما اذا قابلت الزواج دون ان تكون قد وشمت وكذلك يعد شؤوما ان وشمت الفتاة دون ان تكون قريبة من الزواج.

ولقد ذكرنا من ان الوشوم تكون لها بصورة خاصة صورة الصليب والدائرة والطرق والان فلنتحدث عن مغزى هذه الرموز وما هو مصدرها الاجتماعي.

وهذا يقتضي ان نضع مقابلة مع الثقافة الكلدانية – الاشورية الزاهرة التي منها انبجست عدة تيارات في مختلف بلدان الشمال الافريقي ان الجيل الذي استوطن مابين النهرين كان يعبد القوى الطبيعية لانوار الشمس والقمر والنجوم. ومنذ بدء تظهر اثار فن العائلات الاشورية المعروفة اي منذ ٢٩٠٠ ق. م. اظهرت هذه النقط الاساسية في ديانتها وكذلك في الاثار البابلية لمالي شيباك الثاني (١) الموجودة حاليا في اللوفر ويرجع قدمها الى ١٢٠٣ ق. م. وتظهر رموز شاخ (٢) وشورياش (٣) الهى الشمس لعصر القاسيط (٤) فالنجمة البراقة هى الرمز الشمسى

---

(١) Meli-Xipac II

(٢) Xaj

(٣) Xuriax

(٤) Kassita

الخامس ببابل ولقد امرت سميراميس (١) بنقش نجمة زوجها مزينة بالرموز المقدسة وبينها الصليب رمز شماش (٢) الـه بابل الشمسى. فهذا الصليب رمز الوهية الشمس في مابين النهرين وهو ما جاءت به الى الغرب الشعوب الزاحفة في كثير من حملاتها الحربية والتجارية فتاصل عند السكان المغاربة الاولين الذين اقتبسوه بادىء ذي بدء كرمز ديني للاهليليجية ذات السيادة وبعد الدخول في الاسلام دام استعماله بحكم التقليد مع جهل معناه الاولى.

وللدائرة اصل مشابه والقرص البسيط هو رمز الاله الشمسي ومن بعد يظهر القرص مجنحاً مثل الذي يقدس في مصر. وفي شكله البسيط الاولي هو الذي ينقش في الوشوم المغربية. وفيما يتعلق بالطريق ففى عهد القاسيط نقش على التماثيل التذكارية مع الرموز المتقدمة بيد انه لا زال مجهول المغزى.

وبعض اشكال الوشم المغربى تمثل دائرات ذات مركز واحد وحلزونى. وكثيرا ما توجد في الريف. وعند بروبل (٣) هى نهاية سلسلة تطورية ابتداؤها رجل رافع الساعدين في حين ان دشيلات (٤) يخالفه ويعتقد بانها نتيجة تحول الشمس والمركبة الشمسية. ولئن كان الامر كذلك فيمثل الاول الشمس وتكون المركبة نصف دائرة فجاء فنان غير حاذق فحصل على نسبة اكبر وصحيح كذلك تغيير التمثيلات الرموزية في الحجرية لما قبل التاريخ فيما يعود الى الوشوم وهـي تشير بلا ريب الى وجود عبارات اهليلجية قديمـة. وفي حالة الوشم الذي يمثل

---

(١) Semiramis

(٢) Xamax

(٣) Breuil

(٤) Dechelette

شكل حلزوني داخل الدائرة يمكن ان تعتبر كدليل الحركة الشمسية وكثيرا ما توجد ايضا حالة النقطة المركزيـة والاشعة المنبثقة منها بالنسبة للحالات التي يمكن ان يعين لها مغزى مماثل .

وفي حصن طرونيا تظهر رموز شمسية في شكل دائرات شعاعية بعضها مزين بمنطقتين من الاشعة . ومثلها النقوش التي تزين بعض قطـع فسيفساء برتبروس وسبروسو(١) وتوجد ايضا انـواع الوشم على اساس خطوط هندسية فالخطوط(٢) المنكسرة مماثلة للصور التمثيلية للطور المكدالاني . واخيرا ان الخطوط التي تشير الى الخرافة المتاصلة فيما يتعلق بالخمسة التـي سنشير اليها فيما بعد وندرسها دراسـة وافية فشكالها المتعدد الصور يثير الاعجاب الى حـد بعيد . فعلى هذه الكيفية توجد وشوم . وكذلك يمكن ان تشاهد مرسومة بالحناء او بالنيل على الابـــواب .

## عـبـادة الشمس

فلئن كان كماقد شاهدنا لدى تحليل مصدرها فا لوشوم تقريبا هي رموز سحرية او دينية وعـلامات مميزة لالهة الانسان الاول فيصح اعتبار الوشم كمنطق سحر لطيف او حارس . وبواسطة هذه الوشوم يسعى الشخص الموشوم في ان يجلب لنفسه حماية الالهة التي يحمل رموزها منقوشة على جسده . وتوجد اشكال اخرى من الوشم منتشرة في العالم لها معان تختلف عن معاني هذه . بيد ان التي تستعمل في المغرب ينبغي —دون ما ريب ان يعين لها المعنى المشار اليه فمن وراء هـذا تميل

---

(١) Briteiros y sabroso

(٢) خواكين لورينثو فرنندث Joaquín Lorenzo Fernández الرمز الشمسي في شرق غربي شبه الجزيرة «موءتمر العالم البرتغالي المجلد الاول لشبونة سنة ١٩٤٠

الى واحدة من ميزات السلالة النفسانية المغربية التي اكيدا يميزها الى درجة قصوى ذلك الفيض من الافكار التي استحوذت على العقلية المغربية لما قبل الاسلام ولا تزال حية في خرافاتها، الا وهي عبادة الشمس.

كان لعبادات قوات الطبيعة، وهي الرئيسية انتشار واسع في العالم كله. فلدى انبثاق فجر الانسانية الاولى كانت نفس الانسان تلامس في اتصالها النابض الالوهية التي تحزر وتدرك في المنظر الحائل المريع للطبيعة وترى في الكوكب المنير الذي يطلع طلوعا موثرا في وحدته البهية منطق الكائن الاعلى الذي ينبغي ان تكرس له احدى صلواتها. فالشمس ترسل على الارض اشعتها الخصيبة. فتعمل على اخراج النباتات التي من قسمها العظيم يتخذ قوته. وجمال طلوعها الساحر وغروبها وانتظام دورانها. كل هذا عمل في اولائك الاميين عمله وترك تاثيرات عجيبة جلبتهم الى حضن هذا الكوكب. فلا ريب في ان هذا هو السبب الاول لهذه العبادات التي تتكرر عند الشعوب المنتشره في سائر القارات.

ويكتب فروبنيوس(١) هكذا: كل شيء متصل بسير الشمس اثناء النهار في عالم انوار الليل والصلة تتحف بالايضاح. وسير الشمس هو الحادث العظيم الذي ينبه ضمير الانوار(٢) ويكتب من بعد: «احساسات وتفكيرات موثره تكتنف الشمس. ومن هذا يتولد اللغز. فالشمس تتحول الى قرص والتنين رمز البحر في مركب والساحر يصبح كما هنا».

وهذه الافكار توجد عند اكثر الشعوب تباينا من حيث الهداية السلالية فعند

---

(١) Frobenius

(٢) راجع فروبنيوس Frobenius في «الثقافة ككائن حي» مبحث اسباسا كلبي Espasa Calpe مدريد سنة ١٩٢٤

الشعوب الشمالية والهمجية التى تاصلت عندها عبادة الشمس حمل معه دتشلات(١) على القول في احدى كتبه(٢) في الواقع ان عبادة الشموس هي التى تركت من بين عبادات الهمجيين في الغرب من عهود ما قبل الرومان في الفن لما قبل التاريخ اثارا اشد ظهورا . ولقد تاصلت تاصلا بعيدا عند الشعوب السامية الحامية للعهود الاولى للبشرية واما عند الشعوب الاوربية فلا شئ يدل على وجود عبادة الشموس قبل العصر الحجري الثانى بينما كانت قبل ذلك عند شعوب الشرق الاوسط والشمال الافريقى .

واما رمزها في مصر فكان كثير التنوع واسماؤها لا يحصى عديدها وكذلك اشكالها الرمزية. ومن بعض ممثلاتها الاوسيرس وعمون طابس وراوهايو بولس وبطاح منفيس والى النشاة الخالصة تنضم وتمترج في هذه المرحلة .

للعبادة المصرية نشاة السحريات ومعاطاتها التى كان لها وجود في عهد ما قبل التاريخ وكانت متصلة بها اتصالا محكم الروابط . ولقد حدثنا عنها فرازر(٣) بهذه العبارات : في كل ليلة كان فيها رع اله الشمس يعود الى مقره في الغرب الملتهب وكان عليه ان يحارب جيشا من الشياطين تحت قيادة ابابى عدوه اللدود . كان رع ينازلهم الليل بطوله وفي بعض الاحيان كان الضباب يتوصل الى جعل السماء قاتمة بغيوم سوداء واضعاف نور الشمس حتى فى النهار ومن اجل مساعدة الاله كانت تقام يوميا في هيكله في طابا الحفلة الاتية : يصنع من شمع تمثال لابابى في

---

(١) Dechelette

(٢) دتشلات Dechelette في كتابه : علم الاثارات لما قبل التاريخ السلتية والغالية الرومانية باريز سنة ١٩١٠

(٣) Frazer

شكل تمساح فظيع وحية ذات حلقات لا يحصى عديدها ويكتب على التمثال بمداد اخضر اسم الروح الشريرة فتوضع الصورة في غشاء البابير وعليها الكتابة الملفوفه بشعور سوداء ثم يبصق عليها الكاهن ويقطعها بسكين من حجر الصوان ويرمى بها الارض ويطاها بقدمه اليسرى . واخيرا كان ينهى الحفله بحرق الصورة في مرقد اشعلت فيه اجناس معينة من النباتات . ومن بلاد ما بين النهرين ومن احدى النقاط الاخرى جاءت الى المغرب افكار ارشاديه لعباده الشمس هذه ولقد المعنا الى عبادتها . وفي الوشيات التي عثر عليها تشاهد غالبا تمثيلات شمسيه كما هي الحال في وشى طابع اليلز موراميك بن اريك دن ايلو الذي عثر عليه في اشور واحتفظ به في برلين

ففي هذا الوشي يظهر قرص مجنح علامة الوحي الشمسي وهذه هي الحال عند كثير من النماذج التي عثر عليها .

ومن مصر انتقلت عبادة الشمس حالا الى المغرب فتاصلت في هذه الامصار بقوة لا توصف . ففي عهد ما قبل التاريخ رسمت في جنوب وهران نقوش صخريه درسهار فرنيان(١) تمثل كبشا متوجا بقرص شمسي محوط بحيتين وهي صوره ماخوذة مباشرة من صورة امون الفرعونية وهذا مما يدل على ان عبادة الشمس هي التي اعدت الباطن الديني لشعوب الشمال الافريقي منذ اقدم الازمان . وما عاش منها ولا يزال مصونا ليدل على ان الباطن الروحي لم يضمحل .

ومن بين الطقوس التي تقوم بها حاليا الكفراديات الدينيه الاسلامية بالمغرب تسترعى الانتباه ايما استرعاء واحدة . فعند كفرادية «الحمادشة» يضرب الاتباع رؤوسهم بفؤوس ذات شكل خاص مركب من شفرتين حادتين مصنوعتين صنعا

---

(١) R. Vernean

محكما وكلتاهما معا تؤلفان شكلا اهليليجها(١) ومصدر استعمال الفاس في طقوس الكفرادية يروى بين الاتباع كما يلي.

كان سيدي رحال—وهو رجل صالح— يعيش في الجبل وكان خنثى ولو كان في خدمته امراتان عفيفتان فسمع السلطان بقداسته فارسل اثنين من رعيته اليه للتاكد من امره وكان أحدهما سيدي علي—مؤسس الكفرادية والآخر احمد العروسي اللذان ما ان شاهداه حتى تسربت اليهما قداسته ورفضا الرجوع الى مراكش الباعث الذي حدا بالسلطان الى ارسال عساكره في طلبهما فالقوا القبض عليهما وحكم عليهما بالاعدام وعند ما حانت ساعة تنفيد الحكم طلع سيدي رحال من وراء الجلادين منتضيا فاسا كانت كافية لتشتيت شملهم وفي الحال اهداها لسيدي علي الذي بدوره تركها لاتباعه(٢)

وبقطع النظر عن هذا التاويل ينبغي ان يرى في طقس استعمال الفاس بقاء كامن بطيء لعبادة الشمس فيما وراء روحيات المغربي يبديه في مظاهر كثيرة التنوع. ففي الواقع انما الفاس هي رمز الوهية الشمس وترمز الى الاشعة التي يطلقها الكوكب وقد ادركت بشكل مطرقة وكثيرا ما تمثل بشكل اوعية نقوية من العنبر او العظم.

وعبادة الشمس هذه تنتشر انتشارا هائلا في القارة الجديدة كغيرها من العبادات الطبيعية وتمثيلاتها كثيرة الشبه بالتي نعثر عليها في العالم القديم ولذا

---

(١) طوماس غرثيا فيغارس «الحمادشة والعساوى» (موضوعات عن الحماية)

Tomás García Figueras «Hamadcha y Aissaua».

(٢) القبطان ملدونادو «الكفراديات الدينية بالمغرب» تطوان سنة ١٩٤٢

Capitán Maldonado «Cofradías Religiosas en Marruecos» Tetuán 1932.

ندرج صورة من ذهب لتمثيل الشمس عند جماعة انكس ابيرو لأنها تبدي وجهات شبه مدهشة بنوع الوشم الكثير الشيوع في الريف مما سنتعرض لتبيانه فيما يلي . وكل هذا انما هو دليل على بداية عبادة الشمس التي تحدد تلك الوشوم التي سنصحبها كذلك بتصميم يتعلق باختلاف انواعها الموجودة في سائر النواحي المغربية والتي لفكرتها الانشائية مبدا عبادة الشمس .

## العزائم

وحيث تشاهد مشاهدة تامة مجموعة واسعة للافكار الوثنية هي من بقايا أثار الانسانية البدائية ففي الخرافات التي تستحوذ على النفس وتفرض سلطة جبارة على الحياة اليومية . وعلى كافة اعتباراتها تطبع طابعا قويا من نفوذها . والعزائم مظهرها المادي فهي كثيرة ومختلفة وتكون على اشكال متباينة وقد تكون جزءا من الطقوس الفينيقية بيدانها قد تكون حسب ما يقدر سابقة في تكوينها اد نعثر على رموز لها متاصلة في المغرب وهذا ما يحصل لما يسمى «بعلامة التانيث» المشكلة من مثلث منته بدائرة وخطين منكسرين وفيه نشاهد بقايا لعبادة الشمس .

ومن اشد العزائم سلطة في المغرب عزيمة القرويين بفاس التي حسب الاسطورة جيئي بها من الفانج وهي كناية عن عصفور من ذهب في منقاره عقرب يصون الجامع من الفئران و كرة من حجر مجهول يقتل كل افعى تجتاز بصورة من الصور اسوار القرويين . ففي عهد وضعها كانت هذه العزيمة ذات فائدة كبيرة اذ كانت تقع حالات الاغتيال لاسباب سياسية ودينية باستعمال زحافات سامة .

وللعزائم فاعليات مادية يمكن ان تصون من عمل الارواح الشريرة وتحفظ الانسان من مضرة الجنة وتشفي من الامراض التى تسببها وتقى من مضرة العين التى ترعب . والعيون الزرقاء هى موضوع خوف اكثر من غيرها لانها نادرة وعيون

المراة اشد مفعولا من عيون الرجل وهذا من الاسباب التي تحدو لوضع الحجاب على النساء لتلافي سحرهن .

وللنعال التي تزين الابواب المغربية مثل هذا المغزى . ويكون لها شكل معدنى مخمس الاطراف وفقا لخرافة الخمسة وطريقة ادماجها في الباب متنوعة وتكون عادة في الزاوية العليا من اليمين رغم انه يمكن ان تكون من الشمال وفي هذه الحالة يوجهون منتهى اطرافها نحو اليمين خلافا لما يقع في الحالة المعتادة الكثيرة الاستعمال والتي اشرنا اليها اولا . ورغم ان الاطراف المعدنية التي تتالف منها النعال هي خمسة عادة فيمكن ان تتكون من سبعة في مناسبات اخرى . ولتجنب عمل العين ايضا تلفظ هذه الجملة . «خمسة على عينك او قد يكتفي بلفظ «خمسة» وخرافة الخمسة الكثيرة الانتشار في المغرب لهي ذات انتشار في العالم باسره فيكون ان الخمسة كعدد طقسي توجد كذلك عند الشعوب الاميركية الاهلية لقبل عهد كوكومبس . وتوجد في ضواحي البوجت صوند في اميركا الشمالية وفي كلبغورينا تظهر بين الكوسطنكس ومن المرجح ان العدد الطقسي «العشرة» يوجد في شمال شرقي وغربي البومو وتظهر الخمسة ايضا بين الكيكانو من اعمال خاليكو . وهي في اميركا الجنوبية كثيرة الانتشار ويستعملها من بين الشعوب الوطوطو في كولمبيا والكوبا والتشمريغوانو من اعمال الغرانتشركو . وفي العالم القديم في آسيا نعلم ان الخمسة كانت عدد اذا قدسية خاصة .

فلذا كانت الهياكل حيث كان الملوك يقدمون فيها ذبائحهم الى الالهة ذات خمسة طوابق وتتسنى لنا مشاهدة ذلك في طابع توكاشي نيبورث الاول المحفوظ في برلين بين التماثيل العديدة المحفوظة هناك . ويملك الاسرائيون عدة اشارات في طقسهم توضح مثل هذا الاعتقاد . وما احتفالات عيد ,,السخينة,,

او « السكوت » سوى مثال على ذلك. ويحتفلون بهذا العيد في اليوم الخامس عشر من اول شهور السنة او « تشري » وفيه يدورون بسعفة تنتهي بترنجة في اليد ودورتهم تتم حول اضبارات احتوت على كتب موسى الخمسة وفي اليوم السابع يقومون بسبع دورات. وعند الكلدانيين كانت تشيد اهرامات ذات سبعة ابواب لسبعة طوابق واما الكلدولبريون الاسرائليون فيستعملون سبعة اذرع. فكل هذا يدل على ان خرافة الخمسة واسطورة السبعة تستعملان عادة كما هو حاصل في المغرب بصفة المشاركة.

وبين الوشوم المستعملة بوفرة في المغرب تمثيلات هاتين الخرافتين وفي الصورة المرفوقة نشير الى بعضها ومن معاينتها يمكن ادراك الاهمية العظمى التى تتوصل اليها هذه الخرافات بسهولة ولتقديس اليد «علاقة وثيقة بخرافة الخمسة وهذا الى حد جعل منهما تؤلفان عزيمة اولية في المغرب. فاليد ما زالت منذ العصور الاولى لفجر الانسانية موضوع تقديس خاص تاصلت في شبه الجزايرة الابرية وانتشرت انتشارا عظيما وهذه الفكرة ما برحت قائمة في المغرب اليوم على اشد ما هى عليه مفعولا. فاليد باصابعها الخمس تشكل العزيمة المختارة وتضم خرافتين: خرافة الخمسة وخرافة اليد ويعد بالالوف في المغرب الذين يستعملون «يد فاطمة» كدواء شاف من العين. فعلى سائر الابواب وعتب المساكن المغربية تصور بالاحمر او الازرق يد منبسطة تدفع هذا الشر (١)

وتمتاز اليد في عبادات ما قبل التاريخ بدرجتها البارزة، ففي سائر الغيران التى درست حتى الان تقريبا عثر على تمثيلات لليد في اماكن نظرا لصعوبة الوصول اليها ينبغى ان تعتبر اولى اضرحة الانسان الاول وهذا يحصل مثلا في كهف

---

(١) خوليولا البريك «نسب السلالة الابيرية الافريقية الباب الثالث مجلة موريتانيا» عدد ٢٢١ طنجة. مايو ١٩٤٦

القصر بمدينة سنتدندر حيث توجد بكثرة صور الايدي التى تغشى جدرانه ومثل هذا حاصل في غار غرغس الامر الذي له أهمية فريدة وخصوصا ما في مغارة الطاميرا ولقد وصلت الدروس التي قام بها في هذه المغارة بصورة خاصـة كل من هزى برييل وهوغو الى الاستدلال على ان للاشارات والصور المنقوشة في الغيران علاقة بطقوس السحر او عبادة الحيوان في شكل صنم (١) ومنها يستدل على الفن الاولي للحجر المنحوت على انها كانت اضرحة لهم. ويصعد تاريخها الاكيد الى عصور سحيقة كما يذكر في البحث المشار اليـه والعصر الاورينا سيسير ترجع اشـارات وعلاقات ونقوش حمراء وايد مصورة ومنقوشة تمثل اكواخا وحيوانات في اغطيـة «فعلى كل هذه التمثيلات ان قليلا وان كثيرا صبغة فنية حسب الفن او الروح الجمـالى للشعوب التى صاغتها وهذه الظواهر حسب تـاكيد او يرمير في كثير من الاحيان غير منظورة وانما صنعت لمتعة الصانع والالهة.

وفي مصر الفرعونية بلغت كذلك الدرجة القصوى من الانتشار فالعلامة «لم» من الحروف الهيروغرافية هى يد وعلامات الكائن و Khu من المقاطع تمثل اليد مع الساعد فانتشرت في العالم الجديدة انتشارا كبيرا (٢) كما هى الحال بالخصوص عند المايس.

## عـالم مـا فوق الطبيعـة

فهاهنا حيث تلتقى في صوت واحد لا يجارى كـافة انغام دراسة سـلالة مـا قبل الاسـلام. فلاشعب البربري الاولى الذى استـوطن هـذه البـلاد منذ

(١) الاب ازريكى برويل والدكتور هوغوا وبيرمير مغارة الطيميرا في سنتيانادلمار الشركة الاسبانية الاميركية والاكداميـة الملكية التاريخ سنـة 1935

(٢) خـوليو كولا البرياك

المراحل الانشائية للحياة الانسانية، علم غزير في السحر قائم على الحدس والتكهن . وكانت له دراية في العقاقير السامة والمهيجة وفي استعمال خصائص الاعشاب . وكان البربر حاذقين في التكهن وكانوا يتخذون كقاعدة لتكهناتهم خطوط اليد وحركات البطن . فالافكار الاولية التى جاءت من ارض الكنعانيين تاصلت في المغرب وامتد نفوذها بحافز من الخيال البشرى في كنف المحيط العظيم الشان . فالكوارث وصعوبات الحياة والكفاح ضد الوسط المعادي حملت فكر الانسان الاول على ان يضع في محيط ما فوق الطبيعة الذى يدور به مخلوقات شريرة هى سبب تعاسته . فكذلك يمكن ان يقال ان المغرب هو بلاد الجان التى تسكن جباله الجرداء وصخوره التى لا ترتقى . فالجان هى التى تطارد الانسان وتتحدى الله وليس غير الثلوج ما يعوقها عن ان ترتفع وتثور على الله فتعود عندئذ ضد البشر الذين في ليالى الشتاء القاسية ينبغى ان ينتظروا من تلك المخلوقات القلقة والمظلمة التى تعيش وتضطرب في نشاط دائم كافة انواع الكوارث والمصائب (١)

فهذا الازدهار الخارق لعالم ما فوق الطبيعة الذى خلقه الفكر المغربى ينبغى ان يعد في جملته نتيجة لتأثير المحيط في الانسان، وجدوبة اراضي شمال افريقيا الفسيحة ووعورة سلسلة جبالها الكثيرة الامتداد التى لا يشملها وصف واخيراً فداحة مناعة المحيط العدائي الذى يدور بها، ولدت فى الفكر الاسباب والحالة المناسبة لتصور عالم حافل بالجان والارواح الشريرة التى تشجع وهى في أحشاء الصخور وحنايا التربة على اعزاء جملة المصائب التى تحدث في الحياة في مثل هذه المقاطعات الغير ملائمة ومملوءة بوسط تعمه الوحشة، الى تلك الارواح . ففى كل جهة نفس النغم المحزن المغم الذى مع تناسب مبهظ للرواسى القائمة في البلاد كوخز

---

(١) — انركى اركس في ممالكة الجان المظلمة . « افريقيا الشمالية سنة ١٩٢٦ والجان العفاريت المغربية » غزتادى افركا ١٩٤٥

الحجارة الشائكة يطغى على الذات ويعدها لتصور الفرد لعبة قوات غريبة وجبارة تحيك تعاسته. والجدوبة الموحشة للقسم الاكبر من البلاد تخلق حتماً وجودا مضنكا، فتبرر نشاط الارواح الشريرة المشئوم فيساعد في هذه الحالة الوسط على ما يتطلبه الفكر. ويبدو مفعما بعويل الارواح هبوب الارياح التى تعصف في حناجر تلك الوهات. وفي فصول الشتاء القاسية في جبال غمارة أو الريف المرعبة يحدث المنظر الوعر في قرارة النفس روعا يشحذ الخيال ويدفعه في طلب جان يعزى لهيجانها الكوارث التى تقع. ففى منظر الطبيعة ينبغى ان يبحث عن سر الكآبة العميقة المريرة التى تشربتها هذه الاعتقادات الغابرة لسكان المغرب

ومن اجل التغلب على حيلها واخضاعها لمصلحة الانسان اوجد هذا، السحر الذى تأصل في المجتمعات الاولية البدائية تاصلا خارق العادة.

فالسحر الذي طقوسه—دائما سرية—تؤلف ما اسماه او غست كمبت رسول الايجابية „ بحالة العلوم اللاهوتية „ توصل سريعا الى مكانة رفيعة ما زالت حتى الان عند الكثيرين من الشعوب الاميركية.

ويبلغ السحر العلاجي عند ئذ ذروة مجده اذ يحاول ايقاف الامراض الشريرة التى تسببها تلك المخلوقات. والترياق وهو (الشراب المقدس) يعد بواسطة اختمار عصير بعض النباتات التى تم جمعها وفقاً لبعض الطقوس الخرافية. ووجود هذا الشراب تعترف به الثقافات القديمة على اختلافها واسمه في الهندية (صوما) وهو (الثولاسى) المعد لفشنو الخ. ولا نهاية لتعداد المستحضرات التي تستعملها المداواة السحرية. ففى جنوب الجزائر والمغرب وتونس للضب المسمّي اورصشتى اهمية كبرى فمنه يستعمل الجلد والمخ واللسان في الطقوس السحرية نظرا لكون ذنبه يتألف من احدى وعشرين حلقة وهذا عدد رمزي في السحر—

فالجان التى تحدثنا عنها والتى توجد في عالم ما فوق الطبيعة لعهدما قبل الاسلام

في الشمال الافريقي تنتمي الى اكثر الرتب اختلافا (١) الابالسة والشياطين والعفاريت الخ وقليلون هم ابناء البشر الذين تمكنوا من التسلط على جنيهم . واما في الشرق فيعد سليمان من اعظم الساحرين وسيد الارواح الارضية والعلوية انكانت له عليها سلطة مطلقة وهو ذلك الملك الاشد صولا والأوفر مالا من بين ملوك الارض وسلطته هذه يعود الفضل فيها الى خاتمه العجيب الذي كان فصه زمرودة نقشت عليها نجمة. وامتدت هذه الشهرة الى الغرب في عهود التوسع الاسلامي وتشهد بذلك رواية ماخوذة من (تاريخ) ابن حبيب في القرن العاشر حيث يقول :

« اثناء فتوحات موسى وصل هذا الى نقطة عثر فيها على صناديق نحاسية. ولما كان يجهل ان سليمان كان قد حبس فيها عفاريت امر بفتح احدها فخرج احد العفاريت وظن انه يتكلم مع سليمان فقال لسليمان وهو ينفض رأسه : « انني احييك يا نبي الله ! لقد افرطت في قصاصي في هذا العالم ! » ثم لما شعر بان الذي اطلق سراحه لم يكن سليمان ولى هاربا خوفا من ان يعود ثانية الى حبسه .

وكما ان سليمان في الشرق سيد الجان فمولاي عبد القادر الجيلاني سيدها في الغرب . بيد ان هذا الامر ليخرج عن الموضوع بحد ذاته .

وكثير من الجان، تظهر باشكال خداعة يظن معها انها تسكن في روح الصخور . وهذا ما يحصل في الريف حيث وحشة الجبال القاسية الجرداء تبدو كانها مراتع الجان . وانها لتشبه اللوحة الزهدية لفروبل حيث نفس الجبال متوشحة بوشائح السطان (ابليس) الارجواني – البنفسجي وقد اختفى وجهه وراء الغيوم الغبراء .

ولاجرم ان ساعدت النواحي الجبلية في العالم على ازدهار عالم ما فوق

---

(١) – ضون طوامس غرسيا فيغارس ( D. Tomás García Figueras )
معلومات عن الاسلام في المغرب « العرائش .

ا

الطبيعـة بشكل خاص. فهذا ما هو حاصل في منغوليـا حيث تخترق مساحاتهـا الفسيحـة الجبـال الجبـارة اذهنـاك يجري نفس الحـادث بميزات كثيرة الشبه بالتي في المغرب فالطبيعة الجبارة تتكلم الى نفس ابن البلاد عن القوات الخفية التي تتامر ضد ابناء البشر (١) وهذا ما يحصل في المغرب والكثير من الطقوس المستعمـلة لابطـال مفعولهـا المشؤوم شبـه غريب بـالطقوس المستعمـلة في منغوليـا. وهـذا مـا يحصـل في مسـالة « الكَرَاكِرْ » المغربيـة التي

(١) توجد اراء شديدة التبـاين حول درجـة تطور البشرية تظهر فيهـا فكرة الارواح الشريرة. يؤكدا :–. هيم : ان الانتقال من حياة الصيد المجتنية البدوية الى الحياة الحضرية الزراعية، ياتي بفكرة للآلهة الرؤوفة التي ندين لهـا ببركة الارض ... وتنضم الى العفاريت هكذا الهة صالحة وحكيمة والى هذه الالهـة تعزى القدرة العليا اكثر الديانات تقدمـا بينما يرتائي ولْهلم كوبرس « ان لا صحة لعدم وجود الارواح والآلهة الرؤوفة قبل مجيئ الحياة الزراعية. اذ ان الاعتقادات التقليدية بالارواح المخيفة والعفاريت تظهر على الاصح بيْن اكثر الشعوب بداوة وغيرها من الشعوب الفلاحة المتاخرة وذلك نتيجة للانحطاط العالم بالكائن الاعلى من جهة ولا نتشار خاص للاعتقاد بالارواح والنفوس من جهة اخرى (علم الارواح) ولهلم كوبرس « الانسان الاول والديـانة الاولى » ابحـاث معهد برنردينو دي شها غون لدراسة السـلالات البشرية من حيث الوسط والتركيب الجسدي التابع للمجلس الاعلى للابحاث العلمية. باب رابع صفحة ٩٠٦ مدريد سنة ١٩٤٦) واما فريبنيوس فيعتقد بدوره: « ان قضية الجـان لهي حتما من نتاج العالم الادنى ولها اتصال بامور شهوانية قريبـة الادراك ثم تتحول الى جنى مفرد (فالرومان كانو يقولون نومن) بفقد الارتبـاط القوي الواعي لادراك الاستقـلال الشهواني الظاهري. ويفرض المجال الحيوي الطبيعي تاثيرا هاما على الشكل والقوة الحيوية

ايست سوي كوم من الحجارة تقام كهدية للجان التى تعيش في مثل تلك الاماكن الملعونة. فعلى شاكلتها « الاوبوس » او النصب المقدسة التي يرفعها كهنة الهندوس في اماكن محفوفة بالاخطار وهى كناية عن مذابح اقيمت للارواح الشريرة ويتم تشييدها في السفوح الجبلية « طانواو لا اونان ثان » وهى كناية عن جذوع اشجار اسندت الى صخور بشكل مكعبات طولها ثلاثة امتار. ويقدم المارة خضوعهم الى هذه لمخلوقات فيعقلون بالاغصان « الاوبو » شرطا من حرير ازرق تسمى « هاتكس » او الشبائب وتطعم لحما وفناجين الشاي او قبضات من الملح فهذه العدد والخرق وهذه الهدايا تشبه التي يعلقها المغاربة في « العار » وتقوم هذه الاتقادات على قاعدة عقلية واحدة وعلى ادوار للسحر متشابه.

---

للمجموعات الثقافية وعلى هذا المنوال كذلك يكون التاثيرعلى شعور المجال النفساني. وتعمل القوة الحيوية الجان اذن متجهة نحوما هو عبقري في شكل خاص ثم تتلاشى في تركها المجال الحيوى الغير محدود (تاليف جاليات). «بيد ان هذا لا يقتصر على تبديل المكان الماهول بل انه يمتد الى خلق المجال الحيوي مثلا في سبيل تاليف العواصم الكبيرة »(— ليوفرييينيوس صفحة. ١٥٠ op. cit) ويكتب مريت الاستاذ الشهير في جامعة اوكسفور هذه العبارات: الانسان الاول يقر نفسه في اشياء هي بالنسبة الى علمنا قاعدة الحياة او الشخصية وهو يفتكر ان لها نوعا مختلف الجسم غير انه موحد لشعور والحركات بيد ان هذه الاشياء لا يعني انها قادرة على تقليد الشيح كما يفعل الانسان عندما تتركه روحه موقتا او عندما تتحول بعد موته الى روح من الارواح وعند ما الشيئي من جهة اخرى او الشخص — يقعان داخل النطاق التحليلي لما فوق الطبيعة ويوقد ان الخيال كمعجزات فيتوفر ما هو اقوى من الداعي لان يحاول الهمجي تغبير السر الذي ينبض في الظاهرة الغريبة او في ما وراءها.

«ر. ر. مرمريت دراسة سلالة الانسان بالنسبة الى المحطتر جهة مدريد ١٩٣١

ولجان اخرى ميزات حامية وهذه الفكرة قديمة كذلك في الشرق فيكون ان الجان المجنحة التى في قصر اشور ناشير بال في طاجو العظيم كان موكولا اليها نظرا لفضائلها الحامية امر الدفاع عن ساكني القصر الاماجد ضد الارواح الشريرة. والجان المعدة كالة للريح نظرا لاجنحتها تمثل براس رجل او نسر.

## السحر

الاراء متضاربة متباينة لاقامة صلة بين السحر والديانة » فالسحر والديانة يكتب مريت (١) هما من حقل واحد للاختبار البشري وينتميان الى احد الحقلين العظيمين للعالمين لئن صح لنا تسميتهما بذلك حيث كانت المعركة الفاصلة للاختبار البشري خلال تاريخه العام. اما كلا الحقلين فينتميان الى عالم ما فوق الطبيعة الى ديانة الاختبار الى منطقة الغسق في الدماغ «وما عالم ثان وهوخ كرخت (٢) فيدحض فكرة الاسبقية الزمنية والعرضية للسحر بالنسبة الى الديانة ويعتبر مرفوضة من حيث وجهة درس ما قبل التاريخ كل النظريات التى تتنا فى مع راية «ففى حقل ابحاثنا يكتب نقتصر على ان لا نقبل ان التمثيلات الاولى التى صاغها الانسان لما هو إلاهي كانت في نشأتها الاولى على حد من البساطة والحالة البدائية كما كانت عليه الاشكال الاولية البدائية للفن والاقتصاد. وثمة مستند اخر من جملة مستندات نظرياتنا وهو الاعتبار ان السحر ما كان ليؤلف عاملا خالقا وانما هو عامل مشتق ثنياني لامصدر اولي. »

والسحر اللطيف كطقس عملي يقام في سائر نواحى افريقيا الاستوائية ويصف فروبينيوس مشهد احضره سنة ١٩٠٥ في ادغال بكر بين الكاسي واللوابي

(١) مريت صفحة 166 op. cit

(٢) الاستاذخ. كرخث «انسان ما قبل التاريخ كخالق: العالم الروحي للبشرية في العصور الجليدية.» برلين ١٩٤٢

قام اثناءه المحاربون الاقزام قبل الشروع في صيد وعل برسم هذا الحيوان على الارض عند طلوع الشمس ورموه بسهام اقواسهم (١) ودرس استاذ جامعة برشلونة الشهير ضون ماتثور المغر وجبل اسلين بوكرس (الصحراء) (٢) وهو مثال اخر الاضرحة الاولية التى تجرى فيها طقوس السحر اللطيف وقد عثر في ذلك المكان على نقوش في صلب الحجر هي لحيوانات يطبق عليها الرحالة الصياد سحره. وهي اضرحة قبائلية يعتكف فيها الرئيس او الساحر لمناجاة الارواح الحيوانية الممثلة وجعلها تتحول لمصلحة الجماعة.

واما سحر الصيد فيقوم على فكرة هي ان الصياد يكتب سلطة على حيوان حال تسلطه على صورته بطرق سحرية وهذا يعنى بسلطة على روحه ولسائر المجتمعات البدائية اطلاع على طرق مختلفة للاتصال بقوى ما فوق الطبيعة.

وزيادة على هذا المزيج يزاد مسحوق ذنب العقرب. فهذه هى الروشاتة التى في عرف السحر لتحضير السم الكثير الاستعمال في بعض الحالات. واما تحضيره فينبغى ان يقوم به رجل لباسه الكامل من جلد مدبوغ او من جلد ماغر يكسيه من ام راسه الى اخماص قدميه

## بقايا وثنية

لقد لاحظنا كثيرا من الطقوس والعوائد التى ما زالت حتى اليوم في المغرب والتى تنم عن ميزات غير قابلة للاخذ والود من انها تعود الى اصل سحيق لعهد ما قبل الاسلام. فالبقايا الوثنية كثيرة في مختلف نواحي عقلية الشمال الافريقي. بيد ان كافة الابحاث المتعلقة بالاوجه الاولية للعادات تصطدم بعقبات ذات

---

(١) لويوفروبنيوس وهزي برويل «لافريك» (دفاتر الفن) باريس ١٩٣٠

(٢) الاستاذ ملتثور المغرو «فن ما قبل التاريخ في الصحراء الاسبانية» مجلة افريقيا عدد ٣٥-٣٦ مدريد سنة ١٩٤٤

صبغة خاصة . فالتغلغل العربي في البلاد فرض على السكان تاثيرا ذا اهمية متباينة وتوصل الى فرض لغة عربية على بقاع فسيحة الارجاء . ومثل هذا ما احدث لاوجه اخرى من الناحية السلالية – الثقافية التى تحدثنا عنها ومن هذه تنشا صعوبة التوصل الى الميزات الاولية للعقلية المغربية .

الحجارة . ان من بين المدافن التي تصنع للاولياء المسلمين في المغرب المدفن المسمى « بالحوش » وهو ضريح بسيط مكون من دائرة من الحجارة تحدد قبر الشخص الذي يقدسه الشعب .

ان هذه الاهمية التي تعطى في المغرب الحجارة كعامل رئيسي لهي من اقدم المخلفات بالنسبة لمعتقدات شمالي افريقيا . فالدنها جيون الذين يعيشون في وادي ( = ) الصفصاف ويتخذون اسم اولاد الجهلاء « اولاد الوثنيين » وقد اقاموا حديثا على قبور موتاهم « الصوب » اي حجارة كبيرة يقيمون حولها شعائرهم الدينية .

واما « الكراكير » المغربية فتنتمي الى هذا النوع من العبادة يقام « كركور » بمناسبة وقوع اغتيال لدلالة على ان المكان الذي وقع فيه محفوف بالاخطار ولدفع الشر يرمي كل من المارة حجارا على « الكركور » وبهذا يصون نفسه من الشر الذي كان يحوط به ثم يطلق ساقيه للريح . واما « العار » او كوم الحجارة او ما يعلق على الاشجار تقديمات تتكون عادة من سبعة احجار صغيرة اي حصبات مشدودة كلها بمرسة او سلك . وفي قضبان حديد نافذات اشهر الزوايا الاسلامية تعلق الاحجار ملفوفة بقطع من الثوب حيث تبقى مدة من الزمان ومن بعد توخذ لتتحول الى عزيمة قوية المفعول . وفي مدينة العرائش تعلق تقديمات اخرى على المدفع الكائن

( ١ ) يتعذر الجزم في صحة نقل هذه الاسماء والمسميات الى العربية نظرا التحريف الناجم عند الاوربيين من اخذها بالسمع ووضعها بحروف لغتهم مما يجعل اعادة بنائها في غاية الصعوبة حتى على اقرب الناس منها معروفة .

بالقرب من « برج اليهودي » وهذه التقدمات هي كناية عن حصبات مشدودة بسلك يتركها صاحبها مدة في موخر المدفع ثم يعود الى اخذها ليستعملها كعودة . وفي قبيلة بنى يطفت يدلك المصابون بامراض الكبد مرات متوالية بحجر كبير على شكل شحمة الاذن كائن على مدخل احد الاضرحة التى تجاب الشفاء . والدواء المعتاد استعماله ضد الجنون في قبيلة بنى يطفت كذلك يقوم على ان توخذ سبعة احجار من سبع طرق مختلفة وترشق من فوق الراس عند الظهر ساعة وصول الشمس الى السمت ولهذه الحالة الاخيرة صلة اجلال من نوع عبادة الاحرف في خرافة السبعة .

وتسمى كوم الحجارة الصغيرة التى تدل على طريق احد الاضرحة ذات الاهمية « بالنصب ». ويوأكد ر . خرنو ( ١ ) ان في مقاطعة قسطنطينة لازالت توجد عادات وثنية خصوصا عند اولاد عبدي تشمل رباعهم الاربعة : اولاد عمر بن داود ولاد علي بن يوسف ولاد مسلم ولاد مهدي وكذلك عند سكان نارا وسكان منعة الذين يقطنون المناطق الشمالية الشرقية الجبلية في وادي واد عبدي وواد عبود واشهر اعيادهم تقوم على تبديل احدى اشجار المنزل الثلاث في الارض التى تدور به . فهذه الامثال كلها تدل على العبادة القصوى للاحجار واما المصدر الاولي لعبادة الاحجار فينبغى ان يبحث عنها في افكار الدفن عند انسان العصر النيوليتي الذي كان يشيد لحماية الميت مستطيلات من الحجارة مركبة من بلاط صغير مغطاة بصفائح حجرية . وتظهر طقوس الدفن بوضوح منذ العهد الموسذيني . ومن دراسة نواويس البرتغال حيث تمثل كافة النواحي التطورية فيستدل على ان الاضرحة الاولى مولفة من دائرات كبيرة من الحجارة شبيهة « بالاحواش المغربية » . وفي العصر

---

( ١ ) ر . خرنو « عملية شق الجماجم في الاورس « الانطروبوجية »

النيوليتي الاخير تظهر النواويس في شكل ممشى ومن بعد تتحول الى ممشى مغطى (١)
وقد عثر على مثل هذه المدافن التي تعود الى العصر النيوليتي في المغرب. وهذا ما هو عليه مدافن وادلو التى عثر عليها اثناء تشييد سد على طالا سنة ١٩٤١ وهى تمتد على الضفة اليسرى لودلاو في قبيلة بني حسان وتبدي هذه الميزات (٢)
الى نفس هذه الافكار تنتمى نواويس ومسائل تلك العصور من تاريخ البشرية.
وفي المغرب حسب نيسو مثل هذه الاثار التى تتعلق بالمدافن هى مثل التى يعثر عليها في الجزائر وتونس. والنواويس مثل التى في روكنياة ومزالة وبومرزوق في الجزائر قوامها اربعة احجار خشينة غير منحوتة مغطاة ببلاطة موضوعه افقيا. والفارق الكائن بينها وبين نواويس الجزائر هو ان هذه لها شكل مستطيل والمغربية لها شكل منحرف عرضه يتراوح بين ٧٥ و ٩٠ سنتيمترا. وتوجد النواويس في قمم التلال مولفة من مجموعات صغيرة وقد يعثر عليها في حياريم ودكزار وغلمان وامريس وفي الهضبة التى تفصل حوض واد خلف عن حوض واد يوغدو وكذلك المنحدر الجنوبي لتلة عين الدالية وهكذا في منطقة حماية اسبانيا في الناحية التى تمتد بين ثلاثاء رياسنة والقصر الكبير وكرملش مزورا يوجد على مسافة خمسة كيلومترات من سوق الاثنين وتسمى «وتد» المسلة الكبيرة التي علوها يبلغ خمسة امتار. وهذه المسلة كانت حسب اعتقاد ذلك الزمان مقر الالوهية.

وفي العصور التاريخية المحضة احتفظت الشعوب السامية ومنها الفينيقية بوجه خاص بهذه العادة. وكانت الحجارة تتمتع بطقوس خاصة مختارة. وكانت هذه الشعوب

(١) خوسيه بيرث دي برادس «النواويس الاسبانية» منشورات مجلس رعاية السياحة رقم ٢ مدريد.

(٢) بلايو كنتارو اطوري «معلومات عن الاركيلو في الموريطانية في المنطقة الاسبانية تطوان ١٩٤١

ترمز بعمود من حجر مسمى «بنت الل» والبنت اللوس «او مسمى بوث» اي بنت الله او الالوهية.

وهكذا كان عند ما كان ينزل التجار الفينيقيون الى احدى السواحل ومعهم بضاعتهم فانهم كانوا ينصبون حالا الى جانب خيامهم الحجر الخشن الذي يقوم بحراستهم. وكان الاله ادونيس. اله بيلوس يعبد في شكل عمود من حجر. وما زالت هذه العوائد محفوظة في كافة البلدان التي استعمرها الفينيقيون وفي امكانها ان تثبت صحة هذا الامر كما في نفس الحبشة وهي احدى البلدان التي فتحها الفينيقيون في غزواتهم التجارية. ومن جملة الجمسين مال الموجودة في ضواحي مدينة عدوى فالمال الاكثر بساطة هي نظيرة «البنت اللوس» القائمة على شواطئ فينيقية ومنها ما تعيد الى الذاكرة «الحجارة القائمة» في النيل وعليها زخارف وطنف في كثير من الحالات تدل على عبادة الشمس مثل «زهرة الشمس» وهي من الشارات التي تخول ردها الى الاثار الفينيقية. ولا ريب في ان الفينيقين هم الذين عرسوا ونشروا عبادة الحجارة.

ولكن وان كان الفينيقيون اشد الماضين في عبادة الحجارة في شمالي افريقيا فقد سبقهم الى هذه العبادة اليهود فبعض الحجارة كان قد صاغها اليهود الاولون لكائنات عجيبة تخفي قوة غريبة تنبض في اشكالها البدائية قوة الالوهة. وكان اليهود قبل بناء الهيكل يقيمون طقوسهم الدينية حول حجارة مقدسة متقنة التكويم او موضوعة على قمة اهرام او مرفوعة في وسط الحقل على شكل مال. وهذه الحجارة كانت تكون «بنت الل» اي بنت الله لانهم كانوا يعتقدون انها تصون في صدرها قوة لما فوق الطبيعة وعليها كانوا يضعون تابوت العهد او الصندوق المقدس.

## عبادات طبيعية

الى جانب عبادة الحجارة تقوم في حنايا نفس المغرب عبادات طبيعية كثيرة الانتشار نخص بالذكر منها عبادة الينابيع والغيران والكهوف الخ وعلى ابواب جلها تذبح الحيوانات ذات اللون الاسود على وجه التفضيل او تحرق عناصر خاصة نباتية المصدر . ويقوم هذا الاعتقاد على الخرافة القائلة ان التربة ملك الجان تقطنها وتتخذ من الغيران مساكنا لها ولكثير من الينابيع ذات المياه المعدنية قوة على الشفاء من الامراض بفضل مفعول هذه الارواح . ولعبادة غيران "تمسسدش" اهمية كبرى بارزة وان كانت لا تجري في كافة القبائل بصورة واحدة .

ومن اهم الغيران المغارة التي في سفوح «كوبا لشفشاون وتسمى "كهف حنة مسعودة" فيها يقال انه عاش الولي مولاي علي بن رشيد . وعلى مدخلها تحرق الاعشاب وتوضع النذور .

وفي المغرب ينابيع وبرك مقدسة المياه . وهناك اساطير عديدة منها ما يعود حتى الى العهد الاسلامي نحاول تعيين اصلها بالضبط اصلها العائد الى ما فوق الطبيعة وان كانت هذه الافكار تقوم في الواقع على معتقدات راسخة الجذور في نفس العوامل الوثنية الاولى للبشرية . ومن بين هذه الاساطير توجد اسطورة تتعلق بعين "الحوت" في تلمسان وقوامها ان احد الفتيان من اولاد سلطان تلمسان في القرن الثاني عشر مر بالقرب من العين في طريقه الى الصيد فوقع نظره على فتاة حسناء تسير مذعورة وهي حاملة جرتها فجرت في مشيتها لان وجهها لم يكن محجوبا دون ان تعلم ماذا تعمل . فترجل الامير عن حصانه وضم الفتاة بين ذراعيه وقبلها الامر الذي احمر منه وجهها كاحمرار الرمانة والقت من شدة حيائها جرتها وغطت وجهها «بالحائك» فلم ينفعها شيئا حياؤها لان الفتى كان قوي البنية والح في اظهار لواعجه

محاولا اختطافها ارضاء لرغباته فلم يكن عندئد من الفتاة الا ان تملصت منه والقت بنفسها في الماء حيث استحالت الى حوتة. ومن آنذاك والعين تسمى ,,عين الحوت,, وتعتبر هذه العين مقدسة.

ومن بقايا الافضلية التى تسدى للمياه هذا العيد الذي يسمى ,,عيد العنصرة,, او ,,عيد الماء,, الذي لازال مرعيا في المغرب رغم اسلاميته ففي هذا العيد يقصد الوف الزوار الشواطئ حيث يتجمهرون. واما سكان الجبال فيحملون الشبابات والطبول ويقصدون السواحل على الاقدام او في الزوارق وهم يعزفون على آلاتهم مقابل سكوت النساء التام.

ويعزون للماء اهمية كبرى تتعلق بمجموعة هذه الافكار والمعتقدات. وفي العقلية المغربية تتاصل كل انواع المعتقدات التى ترتكز على الوهية الماء وهكذا يوجد في مقاطعة مرفا كباس فرضة صخرية في صخور الشاطئ بالقرب من المكان الذي يقوم عليه ضريح الولي سيدي يحيى الوردانى. ففي هذا المكان تولف مياه البحر بركة هادئة حيث تفطس النساء اللائي ترغبن في ان يكون اهن ذرية وهن يرددن الصلوات التي تدوم ما دمن في الماء وبعد ان يمرووقت على هذه العمليات يشعرن بانهن حوامل.

والى جانب عبادة الغيران والماء توجد عبادات اخرى لمظاهر الطبيعة كعبادة التلال. وفي المغرب مكان ذائع الصيت بهذا الخصوص اسمه بعرف العامة ,,التلة الفطساء,, وهو كناية عن تلة رملية كبيرة قائمة بين مرفا كباس وتغسا وتبعد عن الاول ما يقرب اربعة عشر كيلو مترا ومئة متر عن الثاني.

ففي هذا المكان تظهر الطبيعة برافة جميلة اذ ان الشاطئ مكسو بالاعشاب ذات الاخضرار الشديد بينها بعض الاشجار الباسقة التي تضع حدا للافق ملمعة اليه في اشراقه المترامي وخط الشاطئ مع المستطيل ذي

المنعرجات اللطيفة المفصوم من حين الى اخر بالصخور الوعورة الساحل . يضع الحد الفاصل بين اليابسة والبحر ويشكل اطاوا باهيا ينطق كل ما فيه بقوى الطبيعة الجبارة .

ففى مثل هذا المشهد ترتفع التلة على علو يتراوح بين ١٨ و ٢٠ مترا وهي النقطة التي يتوجه اليها النساء المغربيات من سكان المقاطعة اللائي ينغص عيشهن العقم . يتجمهرن بالقرب من التلة المذكورة بعد ان يلقين عصى الترحال فيشرعن في اعداد ذواتهن روحانيا مرددين صلوات طويلة لاكتساب بركة الله . وبعد ان يتم كذلك تطهير انفسهن يصعدن الى قمة التلة ومن هنالك يتدحرجن بسرعة الى السفح . ويعدن هذه العملية سبع مرات — دائما ينبغي ان تظهر خرافة السبعة — التي تنتهى بانهاك قواهن وتسبب لهن شبه اغماء بلارضوض لان طبيعة الارض رملية .

واذا ما تمت ممارسة هذه الطقوس يسرعن في الحال الى الاستحمام في البحر في الجهة المقابلة للتلة . والعقيدة متأصلة على ان المراة التى تراعى بامانة هذه العمليات تحمل بعد اربعين يوما اعتبارا من اتمامها للعمليات المتقدمة الذكر .

ففي هذه الاحتفالات ينبغى ان تلاحظ افكار ومعتقدات قديمة العهد متاصلة عند مختلف الشعوب . فالمعتقدات التى تسربت من الشرق الى شمالي افريقا وخصوصا التي كانت ما بين النهرين تمسح بالحكم على ان لهذه العبادات الطبيعية علاقة وثيقة بالتي كانت تقام هنالك . فالغيران كانت في عرف المعتقدات التى جاءت من بين النهرين موضوع اجلال وتقديس واحترام . وفدفدس سمانصا سنة ٨٥٣ ق.م. ينابيع نهر دجلة فنقش اسمه عليها وهو اول شاهد خطي محفوظ لمثل شذه العبادات . وفي المتاحف الوطنية في برلين ما زال محفوظا الثعلب البارز لتغليليبسي الاول في ينابيع دجلة في الاقليم الذى كان اسمه حينئذ نيرى ( شمال ديار كيرحاليا )

وهذه العبادات لا تقتصر على المغرب طالمانبت وجودها كذلك في جنوب شبه الجزيرة الايبرية منذ عهود قبل التاريخ كما يتمنى لنا مشاهدتها في الاشياء المصورة

على صخرة الملح التي قام بدراستها جورج دوارد بونصور حيث يظهر سيلانو اله العزف وحورية راقصين امام مغارة في احتفال ديني سحري صرف (١). واما فيما يتعلق بعبادة المياه ففي بابل قام ارفع تمثيل ديني وهو احتفال الانتاج الذى كان يتم بواسطة النخلة المزدوجة الجنس اذ يمسك القائم بالطقوس وهو الملك الذى كان في نفس الوقت الكاهن الاكبر وعاء فيه "ماء الحياة" بيده اليسرى. وكد ليل على رتبة الماء هذه ولرسم سيادتها كذلك ولتتميز تمام سلطة الملوك كان هولاء يغطسون في البحر اسلحة الاله اشور. فالماء عند سائر الاساطير الشرقية تمثل الحياة. ففي مصر وفي معتقداتها الوثنية لمنشأ الاله ان المصدر الاول لكل حياة وعلة وجود سائر الاشياء يقدر انه هو البداية المسماة "نون" التى ينبغي ان نرى فيها تجسد الماء الرزمي كما يتضح في تفسير طلوع الشمس اليومى منبجسة بشكل طفل – هرمتشيس – من زهرة لوطو السابحة في النون. فتوم او اتوم – احدى ظاهرات رع – الذي عبد اولا في مصر السفلى خصوصا في هليوبولي وهو اقدم اله كان في "المياه" في البلبلة القائمة للعالم الجنينى السابق لطلوع الشمس لاول مرة. وعقيدة الوهية الماء هذه ما زالت منذ فجر البشرية تجدد حياتها في مختلف المعتقدات الوهمية متغلغلة ومنتقلة مع الثقافات المتعددة. فهذه هي حال الاله الاقليمى "اوسيان" المعبود عند سكان الساحل الجنوبى اشبه الجزيرة وسكان موريطانيا. ولقد عثر العالم ضون بلايو كنتارو في حفريات لوكوس على طنف قيم من البرونز يمثل الاله المذكور. وهذ الطنف يماثل الطنف الذى عثر عليه في جزيرة سانيتي بنزى (قادس) وهذا مما يدل على عبادته في الساحل الهسبيرى.

---

(١) جورج ادوارد بونصور "الرحلة الجيلوجية على ضفاف الواد الكبير." نيويورك ١٩٣١

وهناك جنية تثير شديد اهتمام هى عيشة قنديشة، امرأة جميلة تغوى المارين الذكور المنفردين فيما اذا التقت بهم في اماكن بعيدة بدافع شهوانيتها التى لا يكبح لها جماح. يعتقد اهل البلاد انهم رأوها في مناسبات عديدة، وهى تستحم في غدران رقراقة المياه تعوم فوقها شعورها الحريرية الذهبيه. واما جمالها فجذاب وبالاخص السحر الذى في عيونها التى تقود الى ارتكاب الفحشاء. لها جسم غض بديع الصنع واما رجلاها فهما رجلا ماعز او حمار وهى تحاول اخفاءهما بحذر بين طيات "الحايك" او ان لها — وهذا الاغلب — رجلان كأرجل النساء وجسمها جسم ماعز مع ضرعين كبيرتين متدليتين.

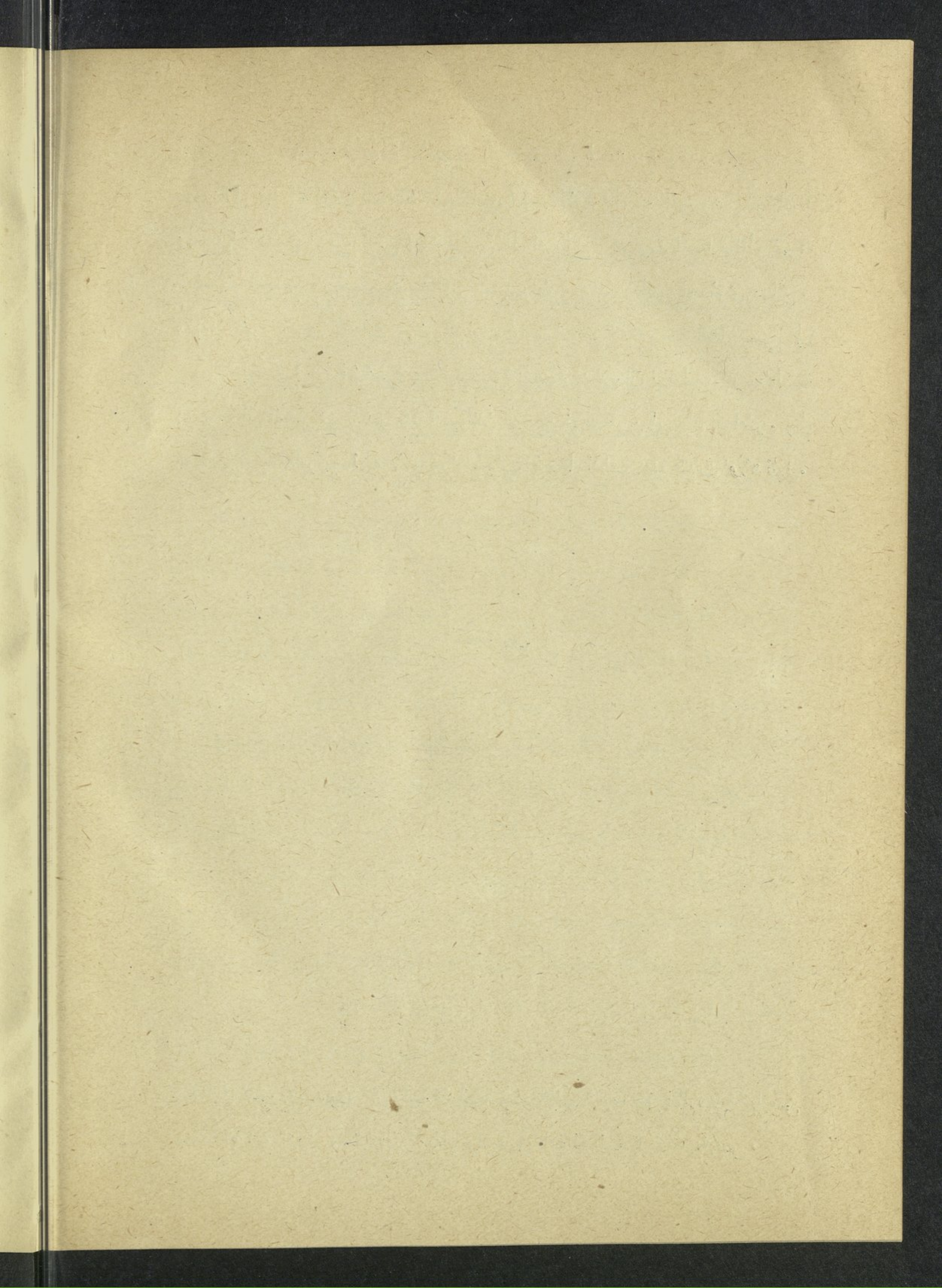
توجد عدة اسباب تسمح بان يفترض ان عيشة قنديشة هذه هى من مخلفات الهة الحب الفينيقية "اسطورة" فيكون اليفها حمو قبيجو الاله همان. ويثبت هذا الامر فيما إذا اعتبرنا ان في كافة عبادات الشرق الادنى القديمة تظهر حالات مماثلة من حيث وجود الهة الحب ميزتها الاكثر بروزا في تمثيلاتها هى نمو ثدييها نمو اخارقا وسندهما بيديها. وكانت تمثل اسطار الهة بابل اخت شامش كالهة للشرور، عريانة وهى تسند ثدييها بيديها وان المنحوتات التى تعرفها "لاسطار" تدل على طبيعة انوثية قوية البروز الى حد الشطط في صدر كبير ووركين عريضتين وفقا الذوق الشرقى. وهذا ما هو حاصل تماما في حالة عيشة قنديشة المغرب. واسطار كعيشة قنديشة تجسد الفسق وفي عباداتها كانت تقام اعياد لم يكن لمجونها وتهتكها قيدا وحد.. وفي اشوريا كانت الالهة بعلات وهى احدى الهات اسطارطه المحلية تمثل بنفس التمثيل "ولها" نفس المعنى والمغزى.

وهذه الاسطورة لا تقتصر على منطقة حوض البحر المتوسط حيث انه في الهند تظهر اخرى مماثلة كما هو شان الالهة نيرتى التى ترمز الى الشهور. ففى سائر ثقافات

البحر المتوسط . اثار لهذه الشخصية الوهمية كثيرة الشيوع وقد اتضح ذلك في مصر قبل عهد العائلات المالكة (باداري) ومالطة (هال سفلياني وهال ثرثيان) واسبانيا (تمثيل الاليثاراكى) الخ وفي شمال افريقيا في هوغرت لدينا تمثال لمراة ضخمة الجسم عارية عثر عليه في قبر تنهنان في واد الاطاس له مغزى مماثل.
وتوجد ضور اخرى لثقافات حوض الدنوب لها علاقة بما تقدم مع انها تنتمى الى مجموعة اخرى (١) فشخصية عيشة قنديشة المهمة ينبغى ان نوبطها باثار سلطة الاحومة الواضحة التى تبدو عند السكان الاميين الافريقيين في وقتنا الحاضر . وفي العادات الوثيقة العرى بسلطة الامومة وارتكاب الفحشاء العادي عند فتيات اولاد نايل.

انتهـــى

(١) جورج بوسون "دراسة" لغوية وسلالية وما قبل التاريخ " باريس سنة ١٩٣٤ . ادوار وسترماك "بقايا وثنية في الثقافة المحمدية" باريس.





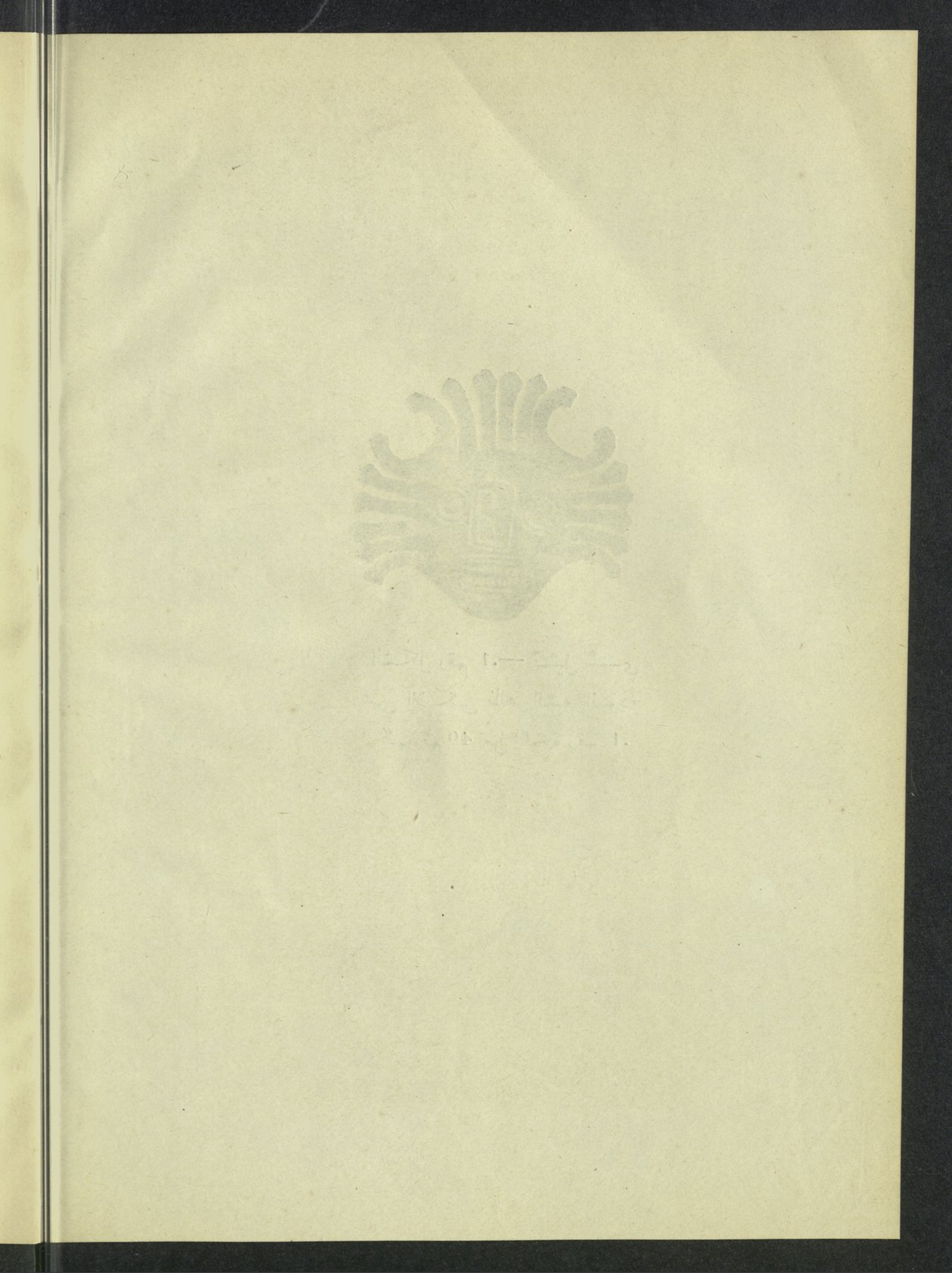
نماذج من الوشوم المغربية

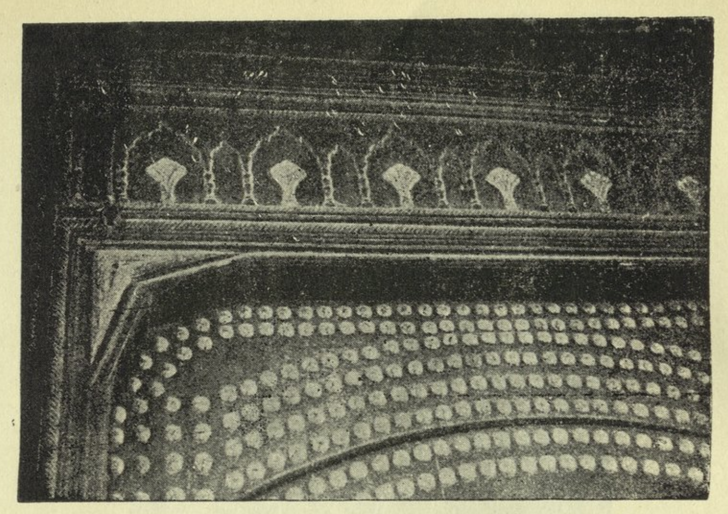
يمثل الانموذج الرابع والثلاثون والسادس والثلاثون خرافة الخمسة . والانموذج الرابع والثلاثون مركب من صنف الخرافة مع عبادة الشمس . وتنتمي الى الانموذج الصليبي الشكل مع مغزى مماثل النماذج الاتية 35' 37' 38' 39' 40' 41. والنماذج السبعة الاخيرة هي لعبادت الشموس الدائرية . والانموذج 15 لشكل الانسان هو في نفس الوقت

يدل على خرافة الخمسة. وتدل على خرافة السبعة النماذج الاتية 42، 43، 44، 45، 46، 47 والانموذج 49 مشابه التمثيل الشمسي الذهبي عند الانكس اليبيروين الذى يظهر في الشكل رقم ١ وهو في نفس الوقت يدل على خرافة الخمسة. واما الرابع والثامن والثالث والثلاثون فله شكل منعرج من اصل العصر المغدالانى.

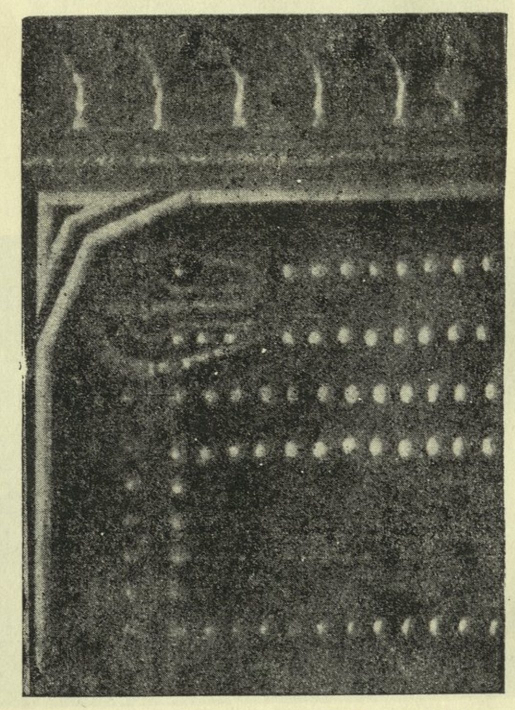


الشكل رقم 1.— تمثيل شمسي
ذهبي للانكس ظاهر الشبه بانموذج
الوشم رقم 49 من اللوحة رقم 1.

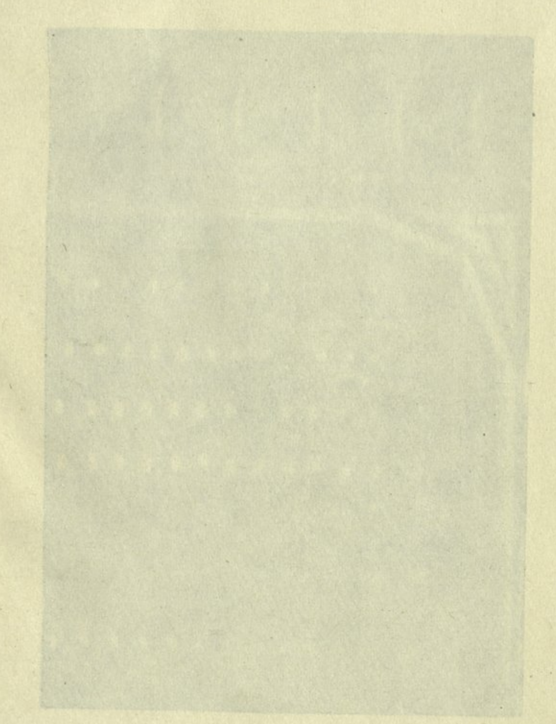


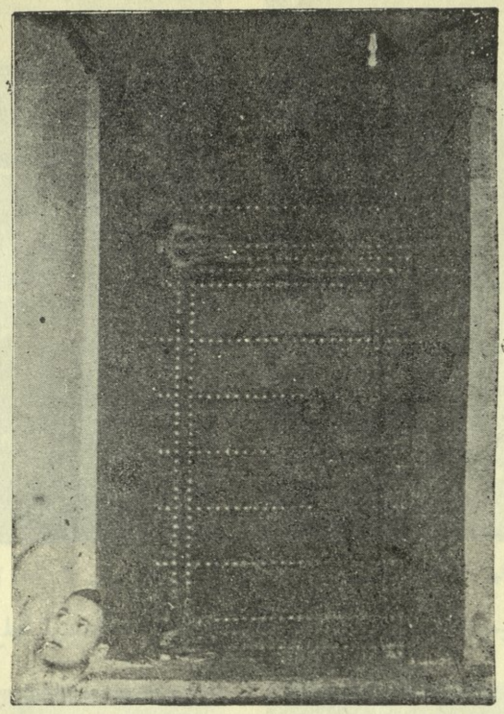


الشكل رقم 2.— زهرات كبيرة ذات خمسة فروع في عتبة احدى الابواب في تطوان.

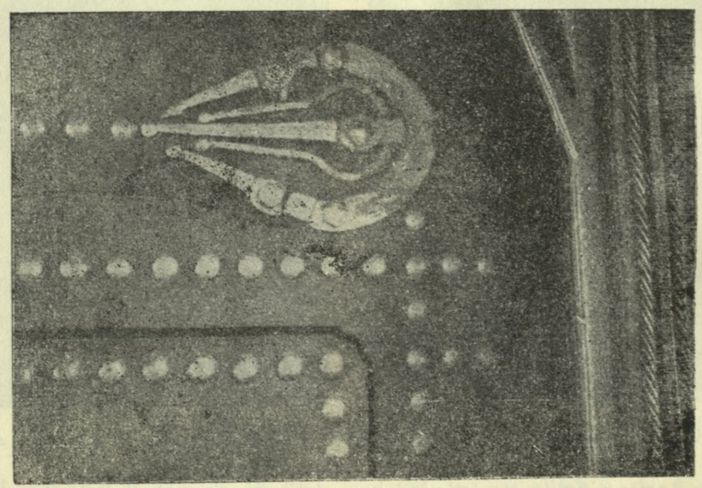


الشكل رقم 3.— زهرة كبيرة ونعلة في الزاوية الشمالية العليا.

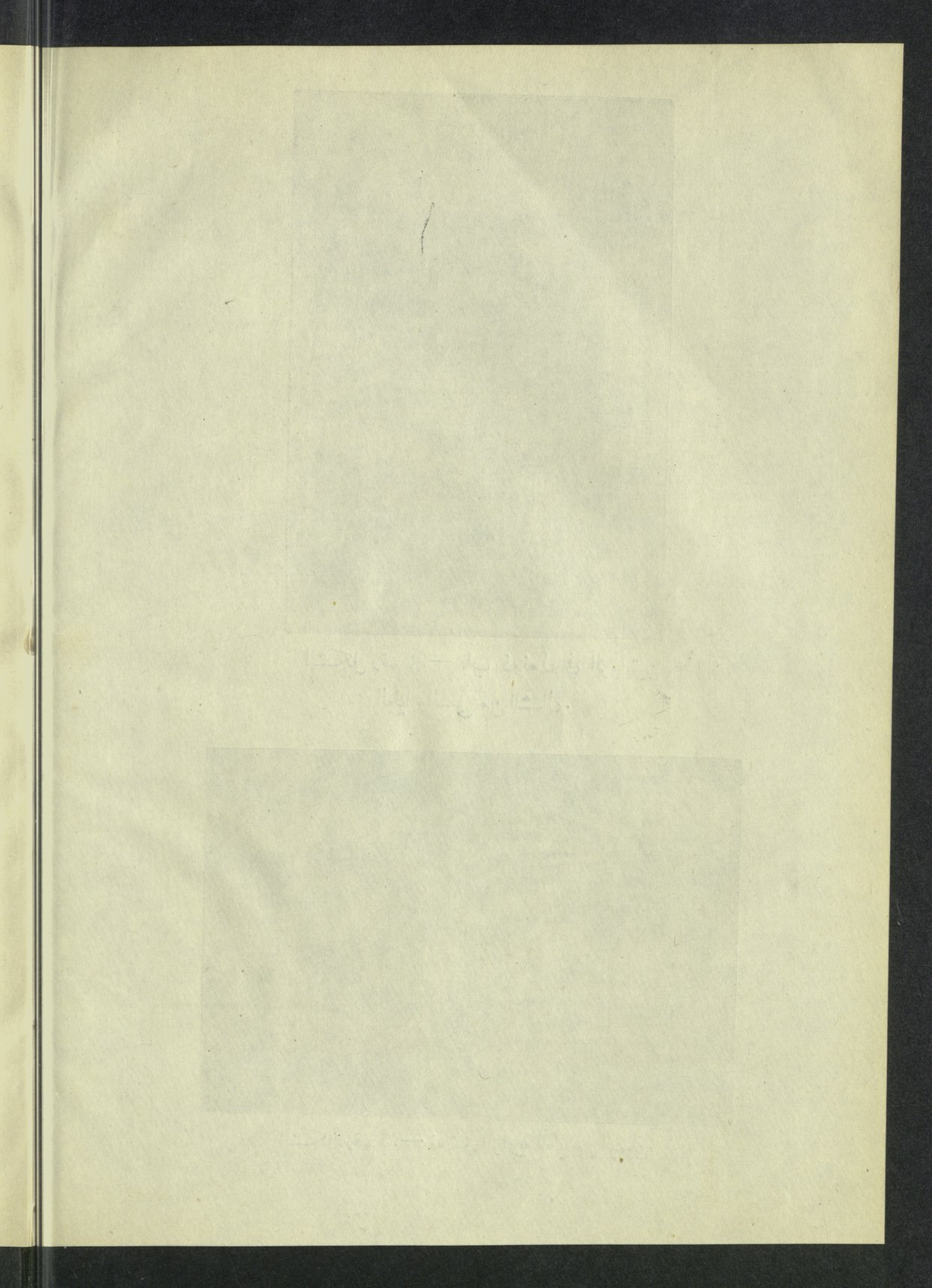


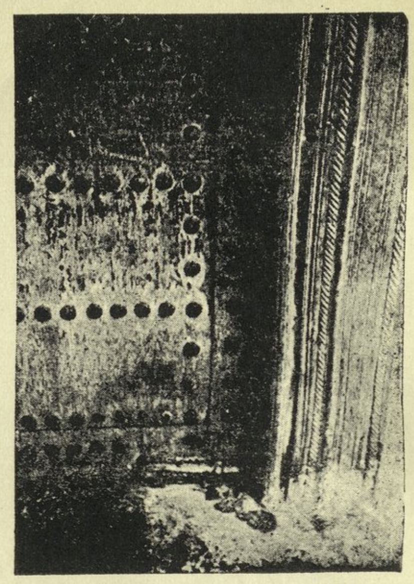


الشكل رقم 4.— باب ذونعال في الزوايتين
العليا والسفلى من الشمال.

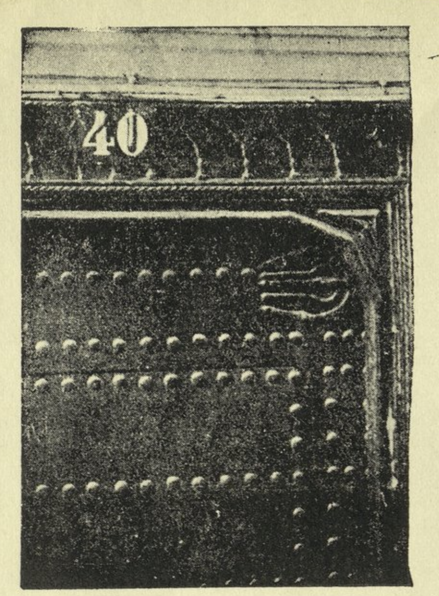


الشكل رقم 5.— نعلة في الزاوية العليا من اليمين.

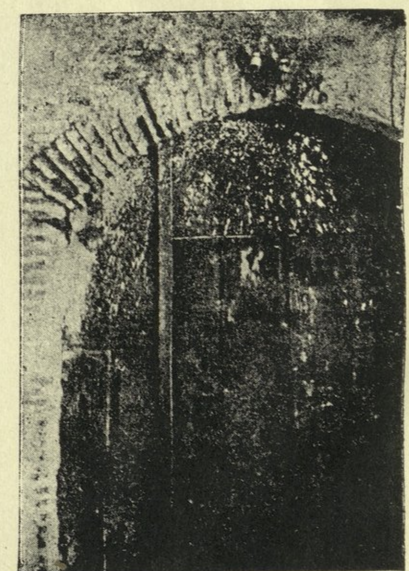




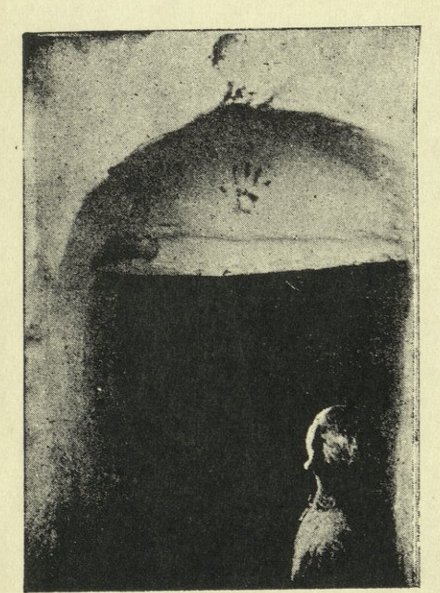
الشكل رقم 6.— نعلة في الزاوية اليمينية السفلى.



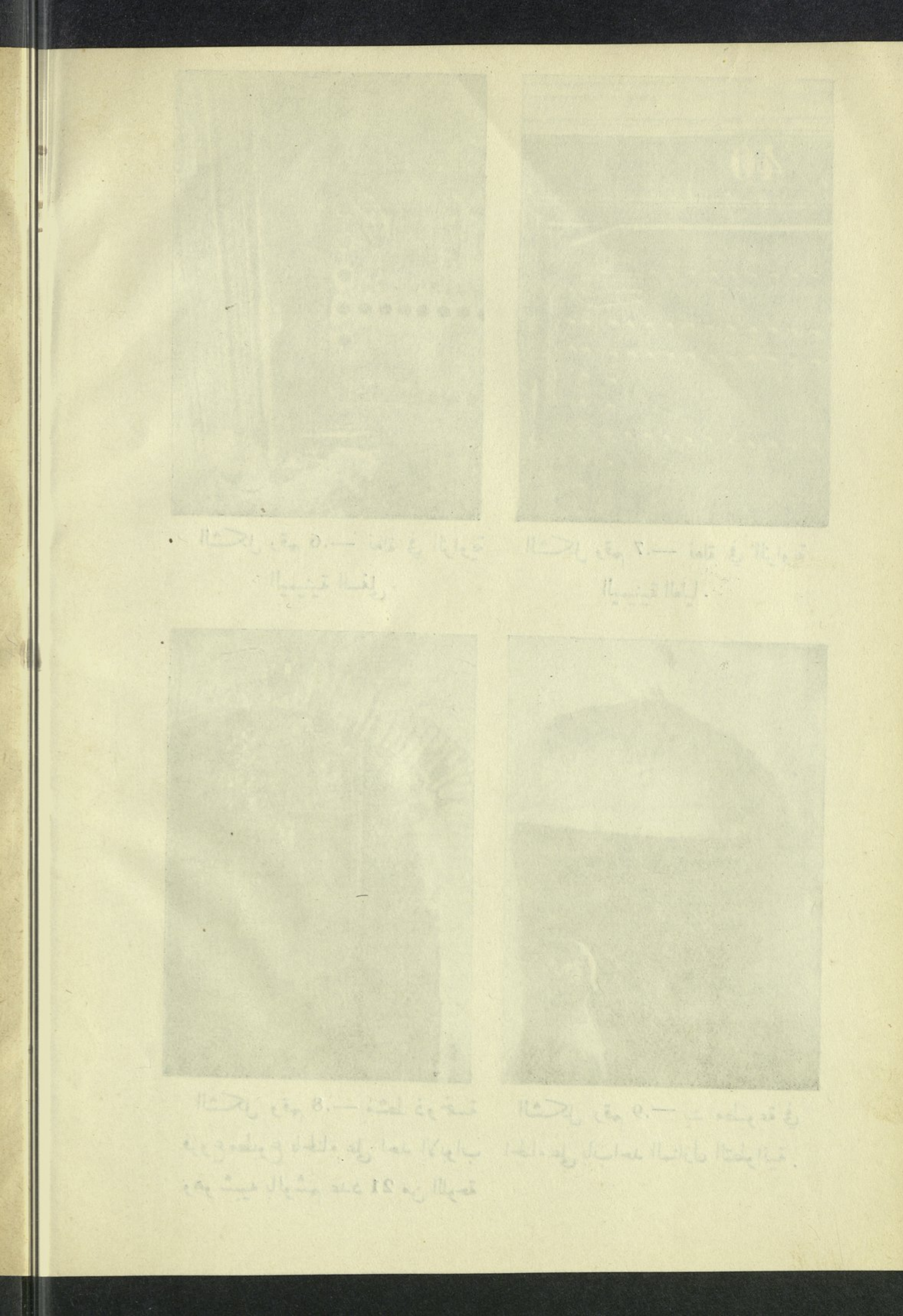

الشكل رقم 7.— نعلة في الزاوية اليمينية العليا.

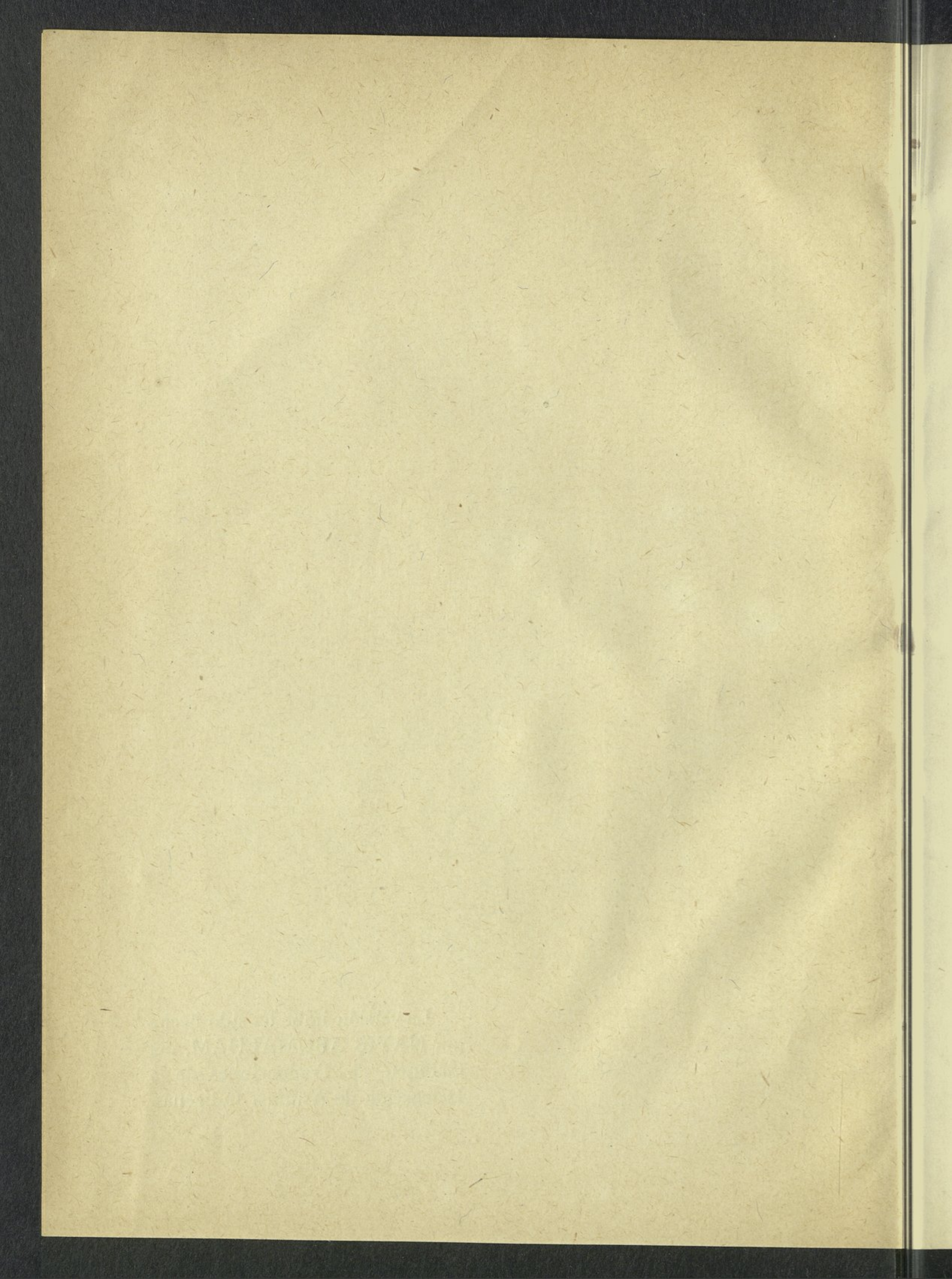


الشكل وقم 8.— مشط ذو خمسة فروع مطبوع بالحناء على احد الابواب وهو شبيه بالوشم عدد 21 من اللوحة

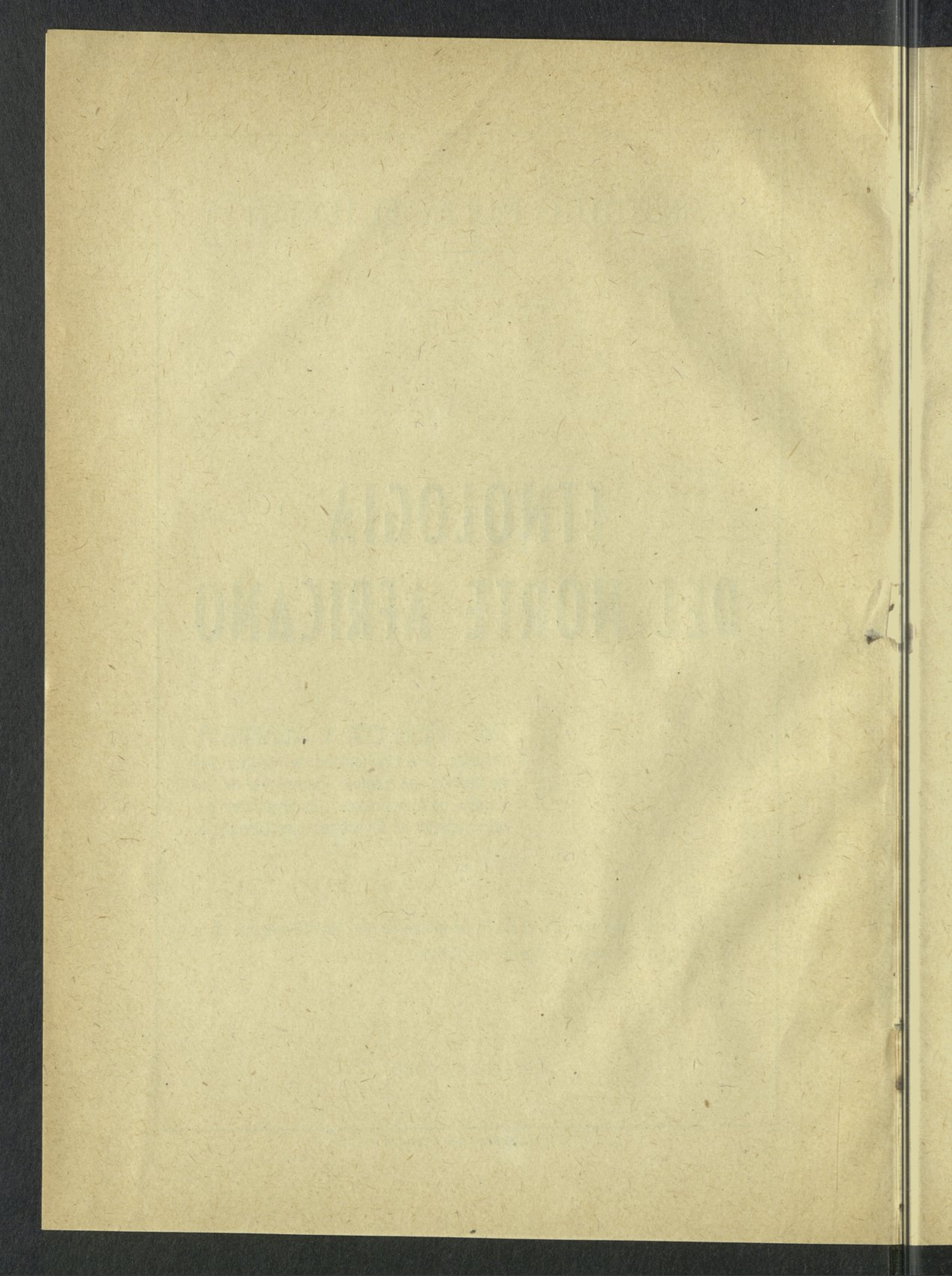


الشكل رقم 9.— يد مطبوعة في الحناء على باب احد المنازل التطوانية.





La versión árabe ha sido hecha por NAYIB ABUMALHAM, del Gabinete de Traducciones de la Delegación de Asuntos Indígenas.



INSTITUTO MULEY EL-HASAN

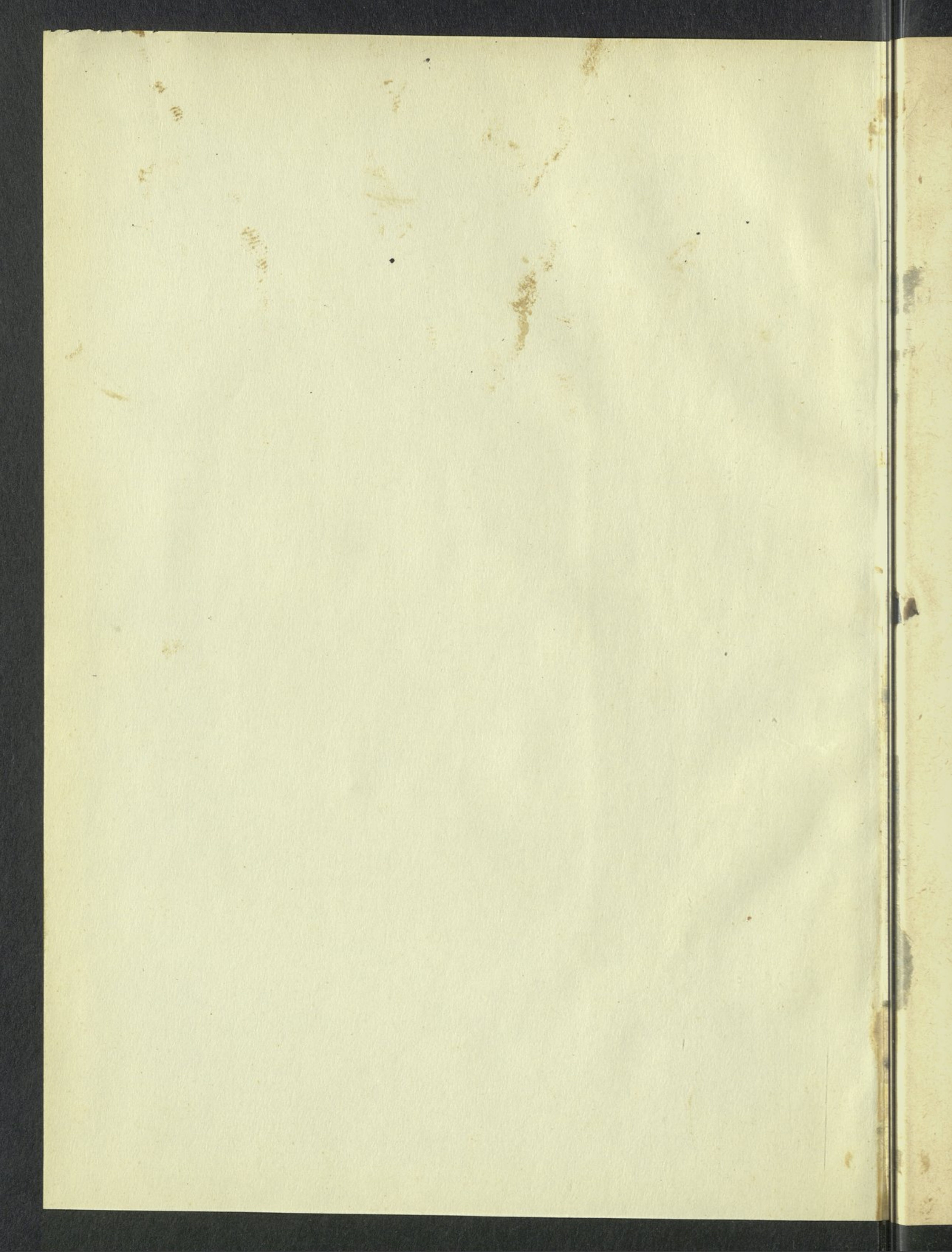
# ETNOLOGIA DEL NORTE AFRICANO

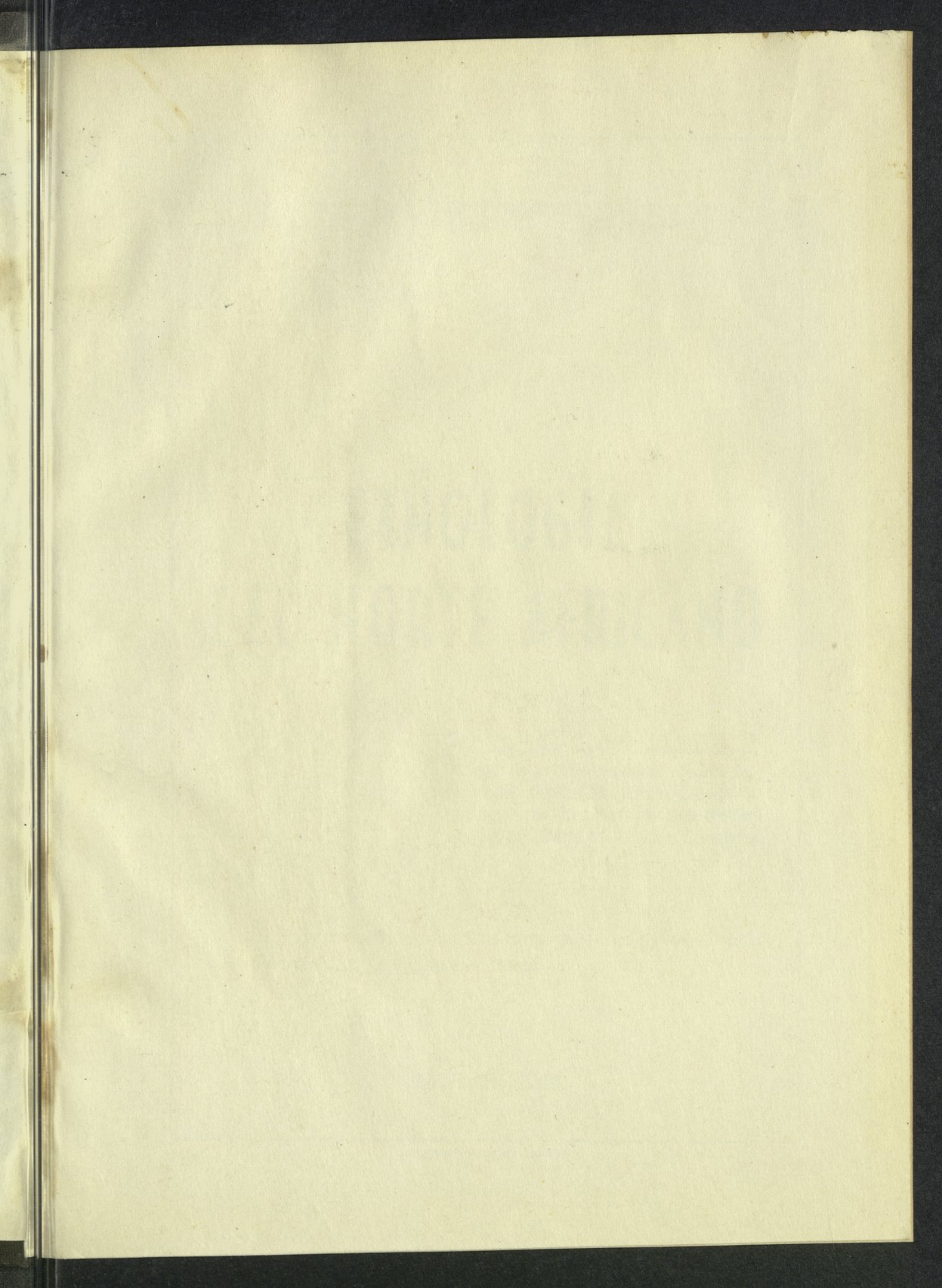
Por JULIO COLA ALBERICH,
Profesor de la Universidad de Madrid, Jefe de Sección del Instituto «Bernardino de Sahagún» de Antropología y Etnología del Consejo Superior de Investigaciones Científicas.

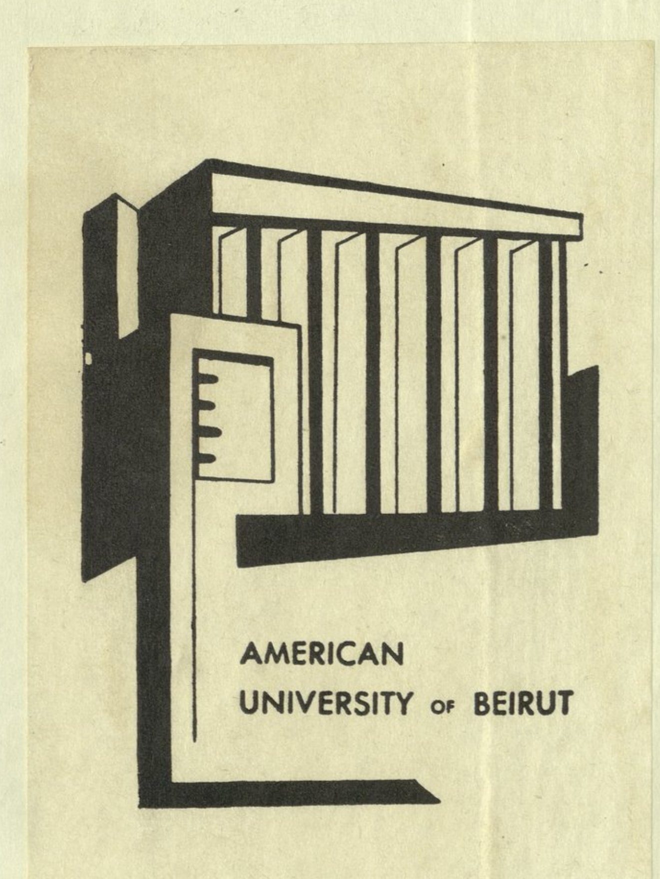
Conferencia pronunciada el día 31 de Marzo de 1947 en el Paraninfo de la Delegación de Educación y Cultura en Tetuán.

TETUAN, 1948

ARTES GRÁFICAS BOSCA-LARACHE






AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT